الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

السنة الثانية والثلاثين
جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ - شباط ٢٠١٨م

العدد
٣٧٦

في (جنيف) وليس في (أستانا) ولا (سوتشي)...
تريد أميركا أن تحقق أهدافها في سوريا

روسيا وهاجس الإسلام والخلافة وحزب التحرير (١) ص ١٠

بوتين: «موسكو لن تسمح بأن تصبح روسيا دولة الخلافة» ص ١٦

لماذا السياسة الأميركية في الشرق الأوسط قائمة على هذا الإجرام ص ١٨

جامعية - فكرية - ثقافية
مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥
www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

المحتويات

كلمة الوعي: في (جنيف) وليس في (أستانة) ولا (سوتشي)...
تريد أميركا أن تنهي الصراع في سوريا ٣
- روسيا وهاجس الإسلام والخلافة... وحزب التحرير (١) ١٠
- بوتين: «موسكو لن تسمح بأن تصبح روسيا دولة الخلافة» ١٦
- لماذا السياسة الأميركية في الشرق الأوسط
قائمة على هذا الإجرام؟ ١٨
- صفقة القرن... مؤامرةٌ قديمةٌ متجددة! ٢٤
- رسم السياسات المالية: الإيرادات العامة (٥) ٢٨
- الإمام الأعظم: أبو حنيفة النعمان ٣١
- أخبار المسلمين في العالم ٣٦
- مع القرآن الكريم:
﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى﴾ ٤٠
- رياض الجنة:
تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه:
«ألا، وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله» ٤٨
- رسالة إلى كل مخبر
يتجسس على المسلمين وينقل أخبارهم ٥٠
- كلمة أ خيرة: مأساة الغوطة:
لهذه الأسباب ينتقم النظام والروس منها ٥١

العدد
٣٧٦
السنة الثانية والثلاثين
جمادى الأولى ١٤٣٩ هـ
شباط ٢٠١٨م

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

في (جنيف) وليس في (أستانا) ولا (سوتشي)...
تريد أميركا أن تحقق أهدافها في سوريا

مؤتمرات الخيانة والتآمر على المسلمين:

شهدت عملية القضاء على الثورة في سوريا ضد نظام الأسد الطاغوتي كثرة وتواترًا في عقد المؤتمرات المنتظمة ذوات العدد، وغير المنتظمة (جنيف- أستانة- فيينا- الرياض- موسكو- سوتشي...) وقد كان يراد، من خلال تتالي انعقاد تلك المؤتمرات، تحقيق أهداف اللاعبين شيئًا فشيئًا، وعلى رأسهم أميركا، في القضاء على النفَس الإسلامي فيها، وإيجاد نظام حكم علماني بفرض دستور علماني عليها، وتأمين حاكم عميل لأميركا ليكون بديلًا عن بشار... وأخطر ما في هذه المؤتمرات أنها تجعل وصاية للخارج عليها، وتحديدًا لأميركا، وتهمش الدور الحقيقي لأهل سوريا، وتحديدًا المسلمين فيها، وتفرض عليهم الحلول ، معتمدة على إثارة الخلافات بين مكوناتهم، وفرض معارضة متعددة الولاءات، غير مولودة من رحم أهلها من المسلمين، وتسيطر عليها الدول الداعمة التي اعتمدت على شراء ذممهم وتبديلهم باستمرار بهدف غربلتهم وانتقاء الأسوأ منهم للناس، والأكثر عمالة وانصياعًا لأوامرهم... ووصل الحال بهذه المؤتمرات أن يعقد بعضها من دون حضور أحد من أعضاء المعارضة الذين يعتبرون زورًا أنهم ممثلون للناس، ومعلوم أن هذه المعارضة السياسية الخارجية حرص الغرب على أن تكون غير متجانسة، ومتنازعة الأهواء والولاءات، ولا تمثل الناس... حتى تكون ضعيفة فتسهل قيادتها... لقد كان لهذه المؤتمرات مجتمعة إسهامها في تحقيق خطوات الحل الذي حددته أميركا... ومعلوم أن مثل هذه المؤتمرات تقدَّم فيها الأثمان الباهظة، ومثل هذه المؤتمرات يقودها ويتحكم بها دول معادية للإسلام، وللمسلمين العاملين لإقامة الخلافة. وبالخلاصة، فإن هذه المؤتمرات هي مؤتمرات خيانة وتآمر على المسلمين بكل معنى الكلمة.

مؤتمر جنيف (١) هو أساس التسوية عند أميركا:

لقد استطاعت أميركا أن تجعل من مؤتمر جنيف (١) هو الأساس في التسوية، وتحديدًا البند المتعلق بـ «**إقامة هيئة حكم انتقالية باستطاعتها أن تُهيّئ بيئة محايدة تتحرك في ظلّها العملية الانتقالية، وأن تمارس هيئة الحكم الانتقالية كامل السلطات التنفيذية، ويمكن أن تضم أعضاءً من الحكومة الحالية والمعارضة ومن المجموعات الأخرى، ويجب أن تُشكّل على أساس الموافقة المتبادلة**». وهذا البند اعتبرت أميركا أنه يحقق هدفها على أفضل ما تريد. بيد أن هذا البند حين تم إقراره لم يكن قابلًا للتنفيذ في ظل الأوضاع الميدانية القائمة، ويحتاج

تطبيقه إلى تهيئة تشكيلة حكم متكاملة، من حاكم عميل لها يحل محل عميلها المجرم بشار، ومن وجوه سياسية جديدة يشكلون وسطًا سياسيًا جديدًا لها، منهم ستتشكل الحكومات ويكون الوزراء، ومنهم سينتخب نوَّاب البرلمانات... ويحتاج إلى تهيئة رؤساء أجهزة أمنية تضمن الحفاظ على الحكم الجديد العميل لها، ومن رؤساء قوى أمن داخلي يتسلمون قيادة أمن البلد لمصلحتها، ويمنعون أي خطر داخلي عليه، ومن قيادات للجيش يكونون مهيَّئين للسير في سياسة البلد الخارجية مع الحكم... وكذلك تحتاج أميركا إلى وقت من أجل العمل على كسر إرادة المسلمين في التغيير، وتغيير موقفهم من الطرح الإسلامي... وتحتاج كذلك إلى شراء ذمم قادة الفصائل المسلحة ليسيروا بحسب التوجه السياسي للحل الذي سيصدر من المؤتمر الأخير لـ «جنيف»...

من هنا نجد أن أميركا تحرص دائمًا على التذكير بأن مقررات جنيف (١) هي الأساس للتسوية، وتمنع كل محاولة لخطف التسوية منها، سواء في سوتشي أم في غيرها... وهناك جانب لا يقل أهمية عما سبق، ومن شأنه أن يؤخر الحل، وهو أن يتم إيقاع أكبر قدر ممكن من الهدم والتدمير لتقوم ورش الإعمار في الدول التي لها مصلحة في ذلك، والتي تعود على ميزانياتها وميزانيات شركاتها بالأموال الطائلة... وكذلك هناك جانب يفوق كل جانب في الأهمية، وتضعه أميركا على رأس أولوياتها، وهو أنها تريد إيقاع أكبر قدر ممكن من القتل والتشريد والنزوح وجعل الناس يعيشون أسوأ الظروف الحياتية، حتى تمنع الأمة من أن تقوم مرة أخرى ضد حكامها العملاء لها.

لذلك لم تعتبر أميركا أن الوضع في سوريا قد انتهى بمجرد إقرار بنود جنيف (١)، بل اعتبرت أنها قد ضمنت الحل الذي تريده، ولكن على الورق، وعليها أن تؤمنه على أرض الواقع بما يضمن أن يكون الحكم في سوريا مستقبلًا تابعًا لها حصرًا... ثم إن أميركا تتصرف في سوريا على اعتبار أن حكم بشار أسد تابع لها، وأنه يجب أن يبقى كذلك؛ لذلك هي متيقظة وتمنع كل محاولة تريد أن تجعل الحكم يخرج من يدها.

ومما يجدر ذكره أن مؤتمر جنيف (١)، وبحسب القانون الدولي، لم تكن بنوده مُلزمة لأحد، ولم تصدر تحت الفصل السابع من ميثاق مجلس الأمن، ولم تُحدِّد بصورة واضحة وصريحة مصير رأس النظام السوري السفاح بشار ومعاونيه ممن أجرموا بحق الشعب السوري، وكل هذا كان مقصودًا؛ فأميركا التي رعت هذا المؤتمر (ومعها روسيا) هي على دراية واسعة جدًا باللعب في وضع البنود الأفخاخ فيه، وبإبعاد البنود التي لا تناسبها، وبالتفاوض على البنود التي لا توافق مصالحها وتبديلها، وهي خططت لأن تفرض ما يناسب مصالحها عبر طاولة المفاوضات بعد أن تحقق على الأرض عسكريًا ما يمكنها من ذلك. وخطتها العامة في ذلك

تقضي بإيصال طرفي الصراع إلى حالة الإنهاك التي تؤدي إلى التسليم لها بما تريد. وهذا البند الذي لا يتناول مصير الأسد في التسوية يتذرع به النظام السوري ومعه روسيا لبقائه في الحكم، وتسمح كل من أميركا ودول أوروبا وتركيا والسعودية لنفسها أن تغير موقفها من بقاء الأسد أو عدم بقائه بحسب مصالحها، وبحسب الوقائع على الأرض؛ لذلك نرى تبدل مواقف هذه الدول وتذبذبها حيال هذا الموضوع... وبمعنى آخر، أكد مؤتمر جنيف (١) بندًا اعتبر أنه سيكون أساس التسوية، وهو وجود هيئة الحكم الانتقالية، وترك الباقي على الغارب، أي قابلًا للأخذ والرد، والفرض والرفض... وذلك بحسب قوة كل طرف على تحقيق مطالبه دون غيره، كمصير الأسد الذي أغفله عن قصد.

ومما يجدر ذكره أيضًا أن مؤتمر جنيف (١) يلقى شبه إجماع بالقبول لدى الجميع، وأولهم المعارضة. ونظراً لضعفها كانت ترى فيه خشبة الخلاص، خاصة بعد التدخل الروسي العسكري المباشر. وأصبح هو مفتاح الحل دوليًا. وحتى النظام السوري الذي وافق عليه أولًا، لا يستطيع أن يعلن غير ذلك، ولكنه يتهرب من البحث في بند الحكم الانتقالي، متذرعًا بعدم تحديد جنيف (١) مدة لبقاء الأسد في الحكم، ويركز على بند محاربة الإرهاب أولًا. وفي المقابل كانت المعارضة تصر على البحث في بند الحكم الانتقالي، وعدم بقاء الأسد أولًا ، ولهذا السبب كانت تفشل المؤتمرات وتؤجل وتأخذ أرقامًا...

بعد مؤتمر جنيف (١) عقدت مؤتمرات عدة أرادت أميركا أن توطئ من خلالها الأرض لتنفيذ بند الحكم الانتقالي كما قلنا، وقد تحققت في هذه المؤتمرات فعلًا أهداف كانت كلها تصب في مصلحة تحقيق بند الحكم الانتقالي. وعندما سيتهيأ لأميركا ترتيب التسوية بحسب مصلحتها، سيهبط الحل على المؤتمر الأخير لجنيف بالمظلة الأميركية؛ وذلك كما صرح دي مستورا في نهاية مؤتمر جنيف (٧) حيث قال: «مجمل ما نفعله في جنيف ما هو إلا إجراء مقاربات ممكنة بين وفد النظام ووفد المعارضة، وإعداد الوثائق اللازمة لسورية المستقبل، تحضيرًا لحلٍّ مُحتمل قد يأتي بصورة مفاجئة، وينجم عن توافق دولي لإنهاء المأساة في سورية»، فهذا التصريح يفيد أن هذه المؤتمرات المتسلسلة تهيئ للحل الأميركي النهائي، وأن الحل لن يأتي من أطراف النزاع، وإنما سيأتي من الخارج، أي من التوافقات الدولية، أي من أميركا.

أميركا ترتكب أبشع الجرائم لتحقيق مقررات جنيف (١):

وأميركا من أجل تأمين كل الذي ذكرناه، وإيجاد الأرضية الصالحة من أجل أن تستقر الأمور لها، سمحت بتدخل إيران العسكري لمصلحة النظام، بل أمرت به، وسكتت عن استقدام إيران لميليشيات من لبنان والعراق وارتكابهم لأبشع الجرائم، وسمحت لهم باستعمال مختلف أنواع الأسلحة الفتاكة بحق الناس، في الوقت الذي منعت فيه الدول الأخرى من تزويد الفصائل

المسلحة بها بحجة الخوف من وقوعها بيد المتطرفين، ومنعت إصدار قرار دولي بإيجاد مناطق حظر الطيران ما جعل الأجواء مكشوفة أمام طائرات النظام لتلقي البراميل المتفجرة بحق المدنيين، وهي تبغي من ذلك جعل الحاضنة الشعبية ترتد على الثورة وعلى الفصائل المسلحة وتنفصل عنها بسبب ما جرته عليهم من ويلات. ولكن بالرغم من كل هذه المساعدة التي حظي بها النظام السوري، وبالرغم من كل هذا الإجرام الذي ارتكبه بحق المسلمين هناك، لم يستطع هذا النظام أن يصمد أمام ثوران الناس عليه؛ الأمر الذي اضطر أميركا إلى الاعتماد على روسيا؛ فاتفقت معها على التدخل العسكري المباشر؛ لقاء اتفاق مصالح سري عقد بينهما، فحدث هذا التدخل في ٢٠١٥/٩/٣٠م. وحتى هذا التاريخ، تاريخ التدخل الروسي العسكري المباشر كان قد عقد من مؤتمرات جنيف فقط مؤتمر جنيف (١) و(٢) فقط،

ومما يذكر هنا أنه قبل حدوث هذا التدخل مباشرة، وفي منتصف عام ٢٠١٥م، كثر الحديث عن توقع سقوط الأسد المفاجئ في وسائل الإعلام وفي تصريحات المسؤولين. ففي ٢٠١٥/٧/١٧م، ذكرت صحيفة «نيويورك تايمز» أن أوباما صرح لها بما يلي: «لقد تشجّعتُ حينما اتصل بي السيد (الرئيس الروسي فلاديمير) بوتين قبل أسبوعين وفاتحني بالحديث حول سورية». وأضاف: «أعتقد أنهم (الروس) يرون أن نظام (الرئيس السوري بشار) الأسد تتراخى قبضته على مساحات أكبر فأكبر داخل سورية، وأن إمكانية الاستيلاء أو القضاء على النظام السوري، ليست محسومة، ولكنها أصبحت خطرًا يتعاظم كل يوم، وهو ما يعطينا فرصة للمباشرة في حوار معهم (الروس)».

وما يجدر ذكره هنا، أن جنيف (١) عقد عام ٢٠١٢م، ثم بعد سنتين، أي في ٢٠١٤م عقد جنيف٢، ثم بعده بسنتين، أي عام ٢٠١٦م عقد جنيف٣... ولكن في عام ٢٠١٧م وحده، وهو العام الذي بدأ فيه انعقاد مؤتمرات أستانة التي كانت تتحكم بها روسيا، عقدت خمسة مؤتمرات لجنيف، ولم تكن مقرراتها بذات أهمية؛ وهذا مؤشر إلى وجود تخوف أميركي من أن يتم تحويل الحل في سوريا من مؤتمرات جنيف التي تتحكم فيها إلى مؤتمرات أستانة التي تتحكم روسيا فيها؛ فأرادت أن تجعل من الجميع لا ينسون أن جنيف هي المعبر الوحيد للحل، وقد ظهر من تصرفات مسؤوليها وتصريحاتهم أنهم كانوا يقاومون محاولات روسيا أن تكون هي مطبخ الحل؛ سواء في موسكو، أم في أستانا، أم في سوتشي، أم في أي مكان آخر قد تختاره روسيا.

وإنه من المعلوم أنه بعد حصول التدخل الروسي، وقلب المعادلة العسكرية لمصلحة النظام خلال سنة، وتحديدًا بعد خيانة سقوط حلب بيد النظام التي شارك بها أردوغان، سار إلى جانب مؤتمرات جنيف مؤتمرات أستانة، وكان مرسومًا لها، أن تقتصر اهتماماتها على

الجوانب العسكرية فقط، وأن تستغل تحقيق انتصار روسيا العسكري على الفصائل المقاتلة لمصلحة النظام؛ لإجبار المعارضة على الدخول في مفاوضات الحل النهائي عبر جنيف وهي ضعيفة منهكة منكسرة، ولإملاء شروط الحل عليها إملاءً، ولكن الذي حدث أن روسيا ظهر منها ما لا يوافق مخطط أميركا للحل عبر جنيف هذا، ظهر منها دعوتها إلى مؤتمر سوتشي الذي راحت تعمل من خلاله على بحث الجوانب غير العسكرية والمتعلقة بالحل، من مثل تهميش دور المعارضة الخارجية التي تمسك بها أميركا مباشرة، أو عن طريق عملائها من مثل السعودية وتركيا، بالعمل على فرطها وشرذمتها وتقزيم دورها، وإيجاد معارضة أخرى مؤثرة تكون تابعة لها، بإيجاد منصات تابعة لها كمنصة موسكو، وإعطاء دور كبير للمعارضة التابعة للنظام... وهددت وتوعدت المعارضة التي تعتبر تابعة لأميركا بأنها إذا لم تحضر مؤتمر سوتشي فستواجه نتائج سلبية كبيرة، وقد صدرت هذه التهديدات من قاعدة حميميم العسكرية الروسية؛ ما يعني أنه تهديد عسكري كبير لها. ومن ثم هي دعت إليه ١٦٠٠ شخصية لتعطيه صفة الشعبوية والتمثيل الواسع، وسمته مؤتمر الشعوب السورية... وهذا كله أظهر أنها تتصرف على أنها راعية للحل بشكل لا ترضى عنه أميركا. أما أميركا التي لم تقبل أن تشارك في مؤتمرات أستانة، ولا أن تكون مراقبًا فيها، فهي من الطبيعي أن لا تسمح بالوصول إلى الحل عن غير طريقها، أي عن غير طريق جنيف، حتى ولا تقبل أن تكون روسيا مشاركة لها في الحل. وهذا ما يفسر الكباش الذي ظهر في مؤتمر سوتشي الأخير الذي عقد مؤخرًا، في أواخر كانون الثاني/يناير من هذا العام. وفيه استشرست روسيا لانعقاده، وعولَّت عليه كثيرًا، ولكن أميركا أفشلته... فهي لا تريد مفاوضات للحل السلمي إلا في جنيف، ولا معارضة إلا تلك التي تسير معها في رؤيتها للحل. إن أميركا تحرص على أن تكون هي المتحكم الأوحد في عملية فرض الحل السياسي في سوريا.

وفي هذا المجال، يمكن القول إن روسيا، بعد غاراتها المدمرة وتغيير الوضع العسكري على الأرض لمصلحة النظام، وامتناع أميركا عن التدخل المباشر واعتمادها على التدخل الروسي المباشر... راحت تتصرف على أنها الفاعل الأول في سوريا، وتعمل على فرض الحل على اعتبار أن هناك غالبًا ومغلوبًا، أي أن على المعارضة أن تذعن لإملاءاتها. ولا شك أن روسيا صدمت من موقف المعارضة الرافض لمؤتمر سوتشي وشروطها الإذعانية، ولا شك أن المرحلة القادمة ستشهد تأثرًا بهذا الذي حدث، فإن شدت روسيا على المعارضة ووسعت اعتداءاتها فمعنى ذلك أن روسيا دخلت في مواجهة مع أميركا؛ لأن قرار المعارضة أميركي وليس ذاتيًا، فالمعارضة أصلًا كانت ستحضر على خوف من روسيا وبطشها، ولكن لما جاءها الضوء الأحمر الذي يمنعها من الحضور وجدت ذلك منقذًا لها من الإذعان لشروط روسيا المذلة، وعارضت المؤتمر

في الدقائق الأخيرة... وإن لم تقابل روسيا الإهانة التي لحقتها جراء فشل مؤتمر سوتشي بمزيد من الإجرام فمعنى ذلك أنها فهمت الدرس من أن أميركا لا تسمح بخروج الحل من يدها، وأن عليها أن تتصرف تبعًا لذلك. وعندها ستدعي أنها كانت تريد بالأصل أن يصب مؤتمر سوتشي في جنيف.

أما المعارضة البائسة التي لا تملك من أمرها شيئًا، والتي تسير بحسب إملاءات الدول الداعمة لها، فإنها لم تحزم أمرها برفض مؤتمر سوتشي وبعدم حضوره؛ إلا بعد أن صدرت إليها إملاءات اللحظات الأخيرة بعدم الحضور، ومن ثم اعتبرت عدم حضورها نصرًا، بينما هو في الحقيقة ليس إلا سيرًا بحسب ما تخططه أميركا، وهي أن تفشل هذا المؤتمر في اللحظات الأخيرة؛ لتظهر قبل كل شيء فشل روسيا في أن تكون هي راعية الحل، ولتكرس فكرة أن الحل لا يكون إلا عبر مؤتمر جنيف (١). فأميركا لا تقبل أن يكون لها شريك في الحل، وهي كما ذكرنا من قبل، تعتبر أن الحكم في سوريا يجب أن يبقى تابعًا، ولا تسمح بتجاوز ذلك.

أيها المسلمون في العالم الإسلامي عامة، وفي سوريا خاصة:

إن هذه المؤتمرات ليست إلا وجهًا من وجوه المؤامرة الكونية على ثورة المسلمين في سوريا على أوضاعهم وحكامهم، وتبغي أميركا من ورائها الإمساك الكلي بالوضع السوري الجديد، وهذه المؤتمرات ظهر للمعارضة جليًا أنها تخضع بقوة لتدخلات وضغوط الدول الكبرى والدول الداعمة، وظهر لها بما لا يدع مجالًا للشك أن أميركا تتحكم بمفاصل الحل، وتمسك بمعظم أوراق الحل.

وفي هذه المؤتمرات ظهر على المعارضة تمسكها الشديد ببنود مؤتمر جنيف (١) الأميركية الصنع من المطالبة الملحة بإنشاء هيئة الحكم الانتقالية. وهذا مطلب أميركي بامتياز، ومن المطالبة بوقف القتال والقصف وبإطلاق الأسرى والمعتقلين، وفك الحصار عن المدن، وهذه ليست مطالب مستقبلية، بل هي مطالب تعبر عن ضعفها واستجدائها وهزيمتها... وظهر عليها تبني محاربة الإسلام تحت نفس الشعار الذي أعلنته أميركا (محاربة الإرهاب).

والآن، وبعد هذا الاستعراض لهذا المؤتمرات المشبوهة، يظهر بشكل واضح أن الطرف الأضعف فيها كانت المعارضة السياسية الخارجية التي بدت كشرابة طربوش تتحرك بأوامر أسيادها، وقد ظهر أنها مفككة، ولا تمثل الناس، ولا تملك أي خبرة أو حنكة أو نضج سياسي... وظهرت كالكرة في لعبة تتقاذفها إرادات الدول الداعمة وضغوطها التي كانت تدفعها إلى تبني مشاريع الآخرين، والتزام الخطوط الحمر الواضحة الخيانة.

هذه المعارضة التي من المفترض أن تعتبر نفسها أنها المعنية الأولى بالحل قد تبنت مقررات مؤتمر جنيف (١) الأميركية الصنع، بعيدًا عن مطالبات الناس التي تدعي أنها تمثلهم...

فهل لا ترى هذه المعارضة مدى عداء أميركا لهذه الأمة ولدينها، وتأييدها لـ(إسرائيل)؟!... وهل لا ترى هذه المعارضة موقف أميركا من منع تسليح الفصائل بأسلحة فتاكة لإبقائها ضعيفة، ومنع إنشاء مناطق آمنة ومناطق حظر طيران ليبقى النظام السوري يلقي ببراميله المتفجرة على الناس؟!... وهل لا ترى هذه المعارضة سكوت أميركا على إجرام النظام السوري، وعلى التدخل الإيراني والتدخل الروسي، والسكوت على استعمال النظام للكيماوي ضد أهلهم؟!... وهل لا ترى هذه المعارضة موقف أميركا من بقاء الأسد في الحكم، ومن أجهزته الأمنية؟!...

والآن نحن نسأل من سميت معارضة زورًا وبهتانًا وتآمرًا: هل اختاركم الناس حتى تكونوا ممثلين لهم؟! هل أنتم تعبرون فعلًا عن حقيقة مطالب الناس؟! وهل أنتم لا تقبضون من الدول الداعمة؟! وهل لا تأتمرون بأوامرها، ولا تلتزمون خطوطها الحمر؟!...

إن أميركا وغيرها من الدول المتدخلة في الصراع في سوريا، تعلم مدى ضرورة وأهمية وجود معارضة للنظام، وتعلم خطورة الدور الذي ستقوم به هذه المعارضة؛ كونها هي المرشحة لاستلام الحكم إذا ما سقط النظام؛ لذلك هي أوجدتها بعيدًا عن اختيار الناس لها، ورسمت لها دورها، وانتقت أفرادها بعناية... ومن جهتها، روسيا تعلم كغيرها من الدول الاستعمارية خطورة هذا الدور، فأرادت اللعب به أسوة بغيرها.

وبالفعل، فإن للمعارضة مثل هذا الدور الخطر؛ لذلك فإن أشرف عمل تقوم به هذه المعارضة السياسية الخارجية الآن هو أن تتخلى عن هذه اللعبة القذرة، وأن تحلَّ نفسها، وأن تترك للناس أن يختاروا قيادتهم السياسية التي تعبر عن تطلعاتهم لتنقذهم من هذا التآمر والإجرام اللئيمين عليهم. وتقيم فيهم حكم الله فيهم. المسلمون في سوريا معنوياتهم في السماء، وهم يستمدونها من السماء، على خلاف معنويات المعارضة الموغلة في الحضيض، وفي المصالح الشخصية التافهة... نعم، إن المسلمين في سوريا يفتشون عن قيادة حقيقية لهم تعبر عن تطلعاتهم، وتلفظ أمثال هذه المعارضات.

أيها المسلمون في سوريا:

إن ما تشهدونه من هجمة وتآمر دولي لا يمكن التغلب عليه إلا بإقامة خلافة راشدة تجمع المسلمين جميعهم على نصرة دينهم، وتضع حدًا لأي عدوان خارجي، والعمل لإقامة الخلافة فرض فرضه الله عليكم. فلن تستقيم حياتكم ولن تستقر إلا في كنف الخلافة الراشدة التي يعزُّ فيها الإسلام وأهله، ويذل فيها الكفر وأهله.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ ■

بسم الله الرحمن الرحيم

روسيا وهاجس الإسلام والخلافة... وحزب التحرير (١)

عبد الهادي فاعور (رحمه الله)

الوعي: هذا المقال كتبه الأخ الكريم عبد الهادي فاعور، رحمه الله، في حياته، حيث كان على اطلاع واسع بأوضاع المسلمين في البلاد التي كانت تابعة للاتحاد السوفياتي السابق (أوزبكستان، طاجيكستان، قرغيزستان...)، وقد رأت الوعي أن تنشره لأن ما فيه يكشف بشكل واضح نوايا روسيا تجاه المسلمين وتجاه مشروعهم بإقامة «دولة الخلافة الراشدة»، فهي تحاربه في بلدها وبلاد الجوار عندها، وفي كل دول العالم ومنها سوريا. وكم يذكرنا المقال بقول الإمام الشافعي، رحمه الله،

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم ... وعاش قوم وهم في الناس أموات

ما إن اندلعت الثورة السورية في آذار من العام ٢٠١١م، حتى تتابعت تصريحات المسؤولين الروس من الرئيس بوتين إلى وزير خارجيته سيرغي لافروف إلى غيرهما من قادة الجيش الروسي والأجهزة الأمنية وكثير من السياسيين والمسؤولين في مناصب عدة، ومن الكتاب والمفكرين، وكلها تحذر من الخلافة والإسلام (المتطرف)، ومن الإسلام الذي يسمونه الإرهاب ويزعمون أنه يهدد كل البلاد وكل الناس بما فيهم المسلمون. وقد عبروا عن مخاوفهم في مناسبات عدة ومحافل شتى ما يؤكد أن عودة الإسلام إلى الحكم تشكل تهديدًا كبيرًا لهم وترعبهم، ويؤكد أيضًا حجم حقدهم على الإسلام وبغضهم له ولأهله، وما يذكر بجرائمهم تجاه المسلمين التي كانوا يقترفونها عبر التاريخ كلما استطاعوا ذلك. وهي جرائم شنيعة لا تقتصر على إبادة ملايين المسلمين وتهجير عشرات الملايين منهم، بل فيها من القبح والشناعة مثل ما في محاكم التفتيش في الأندلس، وفيها ملاحقة كل أثر للإسلام للقضاء عليه.

يدرك حكام روسيا الحاليون، وحكام البلاد المجاورة لها، تاريخهم الدموي والمأساوي المخزي هذا، وهم يحملون مشاعر آبائهم وأجدادهم نفسها تجاه الإسلام، ولهم مواقفهم نفسها، ويعلمون أنهم اقترفوا بحق الإسلام وأهله جرائم شنيعة. وما تزال تدفعهم بغضاؤهم وأحقادهم للتفكير في القضاء على الإسلام والمسلمين في بلادهم، وفي ما جاورها؛ لذلك فإن عودة الإسلام إلى الحكم في أي بقعة من العالم تشكل حدثًا تاريخيًا ضخمًا ومرعبًا بالنسبة لهم، لأن ذلك سيقضي على سلطانهم، وسيسقط عروشهم وأنظمتهم، وسيهوي بعقائدهم وأفكارهم، ليس فقط في بلادهم، وإنما فيما جاورها أيضًا، وفي العالم كله. إنهم يعلمون أن الإسلام إذا جاء فسيجرف كل زيفهم وظلمهم، وسيقتلع نفوذهم وباطلهم وخداعهم من جذوره. وهذا ما لا يريدونه، وما لم يكونوا يتصورون حدوثه أوعودة خطره، بعد أن ضعفت دولة الخلافة واحتلوا أراضيها واقتطعوا مايريدون منها، وبخاصة بعد أن تم هدم الخلافة في ٣ آذار سنة ١٩٢٤م، ثم اقتلاع الإسلام من البلاد الإسلامية التي سيطروا عليها، وبعد أن عمَّ جهل المسلمين في روسيا وفي الاتحاد السوفياتي بالإسلام وطمَّ، بحيث لم يبقَ له في الظاهر إلا آثار روحية أو سلوكية بالكاد تظهر على بعض المسلمين.

نعم، إن عودة الإسلام إلى الحكم في أي بقعة من العالم هو حدث ضخم ومرعب بالنسبة لهم؛ لأنه في حقيقته ليس مجرد حدث تاريخي، بل هو فعالية سياسية تحيي الأرض ومن عليها، فتدفع إلى حركة مستمرة قوية ونافذة، بل إلى حركات أو حملات متلاحقة كموج البحر تؤثر في الواقع حيثما تمر، فتغير التاريخ والجغرافيا معًا؛ تغير التاريخ بتغيير مسارات الشعوب والقبائل والناس من مسارات رجعية وهبوط في وديان وقيعان إلى مسارات تقدم في وصعود في جبال وإلى قمم تعانق السحاب. وتغير الجغرافيا بتغيير مفاهيمها من حدود وهمية جامدة ومصالح نفعية قاتلة، إلى حركة تنبض بالحياة والمعرفة والهداية، وإلى مسؤولية إنسانية، تحيي الأرض ومن عليها بنظام الإسلام، وبفعاليته القوية في تحقيق التوازن بين كل أنواع القيم المادية والمعنوية. لقد فاجأت العالم شعوب المنطقة في آسيا الوسطى والقوقاز وفي روسيا، ثم في الصين في إقليم كسينجيانج في مطلع التسعينات من القرن الفائت. وفاجأت حكام تلك البلاد بتوجه يتصاعد بسرعة نحو الإسلام الذي حاربوه بقسوة لا حدود لها عبر عقود، وظنوا أنهم قضوا عليه كنظام وكهوية، ولم يبقَ منه سوى المعاني أو الآثار الفطرية التي توجد في أي دين أو انتماء مهما كان ضعيفًا أو فاشلًا. فاجأهم المسلمون في هذه البلاد بعودة متميزة إلى الإسلام، حيث انتشر فيهم وعي إسلامي جديد، أخذ يسري في مجتمعات المسلمين كالنار في الهشيم، وأخذ أهل تلك البلاد يفتحون عقولهم وقلوبهم للإسلام وأفكاره ومفاهيمه، وينتقلون بسرعة من جهل عمَّ وطمَّ، إلى وعي وتفتح وفهم

يشبه تعرف الصحابة رضوان الله عليهم على الإسلام في أول أمرهم، فيقبلون عليه بعقولهم وقلوبهم، ويتعلمونه، وتتشربه قلوبهم، وتنفعل به جوارحهم وكل خلاياهم، فيتجسد فيهم إيمانًا وسلوكًا من أعظم مظاهره الصدق والثبات والصبر والتضحية، والتطلع نحو سلطان للإسلام تعلو فيه كلمة الله، ويشهدون فيه على البشرية.

نعم، لقد كانت نقلة عند تلك الشعوب سريعة وقوية مَنَّ الله بها على دعاة هذه الفكرة وحملتها من **حزب التحرير**، وعلى الأمة الإسلامية، بل كانت مَنًّا منه سبحانه على البشرية. ولقد كانت مفاجأة لكل الجهات والمهتمين، ومنهم حكام تلك البلاد؛ روسيا والدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفياتي الساقط، وكذلك للصين وللغرب الأميركي والأوروبي الطامع باستتباع تلك البلاد والاستحواذ على ثرواتها وطاقاتها. لقد فاجأت هذه الصحوة الجميع وصعقت مبغضي الإسلام والحالمين بالقضاء عليه، فأُسقط في أيديهم بسبب هذه الأفكار التي لا يجدون لها ردًا، وهم ينظرون إليها تتدفق في مجتمعاتهم، وتغذي مفاصلها، وتتسرب إلى كل نواحيها، وتسري في عقول أبنائها وقلوبهم، كما يتدفق الدم إلى كل أعضاء الجسد ويسري في كل شرايينه ويغذي كل خلاياه، ولم يملكوا تجاه هذه الصحوة الإسلامية المباركة إلا أن يواجهوها بالقمع والشدة والحديد والنار وكل صنوف التعذيب والتخويف والتقتيل والتيئيس...

لقد شكلت هذه الصحوة تهديدًا كبيرًا لهم، ورأَوا فيها سيرة للتاريخ والأحداث بشكل واتجاه لم يكونوا يتوقعونه أبدًا. وقد ظهرت حركات إسلامية عدة في تلك البلاد كان أكثرها تأثيرًا وانتشارًا **حزب التحرير**، ووعى أهل تلك البلاد كما وعى مسلمو العالم على ما نشره **حزب التحرير** وبثه من أفكار رئيسية حول العقيدة الإسلامية، وأنها ليست روحية وحسب، وإنما هي عقلية أيضًا وأساسًا، وتخاطب كل الناس، وهي سياسية أيضًا وفعالة ومنتجة، إذ ينبثق عنها نظام عملي يحمل بداخله كيفية إيجاده في الواقع وكيفية تنفيذه، وهذا المعنى هو عين ما يخشونه وما لا يريدونه؛ لأنه يهدد أنظمتهم وسياساتهم؛ لذلك لم يكن لهم بد من مواجهة هذا التوجه بالحديد والنار، وأن يطلقوا عليه اسم الإرهاب والتطرف والتخلف وكل اسم قبيح. وكذلك زرع **حزب التحرير** في تلك البلاد وأهلها أن نظام الإسلام نظام متميز، فهو ليس رأسماليًا، ولا اشتراكيًا، ولا ديمقراطيًا، ولا ديكتاتوريًا، ودب في أهل البلاد فهم الدلالات السياسية لهذا الأمر، فنبذوا كل هذه الأفكار، ودخلوا في صراع معها للقضاء عليها. وكذلك من الأفكار التي حملها أهل تلك البلاد فكرة وحدة الأمة الإسلامية بدون أي اعتبار لقومية أو لون أو مذهب، وحرمة ونبذ كل رابطة غير رابطة العقيدة الإسلامية والإسلام، وهذا يشكل ضربة قاصمة لهذه الكيانات القائمة على أفكار قومية، أو على أفكار مشوشة مضطربة غير محددة؛ لذلك

أوجد هذا التغيير في تلك البلاد واقعًا جديدًا فاجأهم وأقضَّ مضاجعهم؛ إذ لم تنفع معه سياسات الخداع والدجل، ولا سياسات القمع والتعذيب والقتل .

ومن الجدير بالذكر هنا أن الجمهوريات التي أعلنت استقلالها بعد تفكك الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٩١م كانت تعاني من فراغ في الهوية. فقد انتقلت من التبعية للاتحاد السوفياتي الذي كان يتبنى الشيوعية ويحارب الدين ورابطته بشدة، وكذلك يرى أن الرابطة القومية ضارة به وباتحاده ووحدته؛ إذ هو اتحاد يضم قوميات كثيرة. وبعد التفكك والانفصال صار لا بد لهذه الدول الجديدة من هوية جديدة. والواقع أن هذه الدول كانت تفتقر إلى رابطة قوية أو جامعة ومقنعة، وكانت في حالة بحث عن هوية، فجاء **حزب التحرير** بأفكاره الإسلامية عن العقيدة وما ينبثق عنها، وعن الرابطة الشرعية الصحيحة، وهو ما يشكل هوية مقنعة ومريحة للنفس بكل معنى الكلمة، فوجد المسلمون من أهل تلك البلاد هويتهم في الإسلام، وكان هذا حلًا مقنعًا لهم بشكل كامل، ومنسجمًا مع عقيدتهم ومع انتمائهم التاريخي، ووجدوا فيه أملًا كبيرًا بل حتميًا في التخلص مما هم فيه من ظلم وقهر وتمييز، ووجدوا أنهم جزء من أمة إسلامية تضم الأوزبيكي والقرغيزي والطاجيكي والتركي والإيغوري والعربي... وأنهم أمة واحدة هي الأمة الإسلامية، ودولتهم دولة واحدة هي الدولة الإسلامية وهي الخلافة، وأن نظام حكمهم وحياتهم هو نظام الإسلام، فلاقت هذه الفكرة، بل هذه الأفكار، قبولًا ونجاحًا وانتشارًا بين المسلمين، في حين وجد فيها حكام تلك البلاد من الشيوعيين السابقين وحكام روسيا وأعداء الإسلام، خطرًا كبيرًا عليهم، ينمو وينتشر بسرعة، ويهدد دول تلك المنطقة، والمنطقة برمتها؛ لذلك انتفضت هذه الأنظمة لمحاربة فكرة الخلافة ولـ **حزب التحرير** والصحوة الإسلامية عمومًا بشكل عنيف، وجعلت هذا الأمر استراتيجية عامة لها، استعملت فيها كل الأساليب الأمنية والمخابراتية، فتفننوا في أساليب القتل والتعذيب، وأتوا في ذلك بما لا يخطر على بال، وكانوا كلهم وعلى رأسهم روسيا وأوزباكستان رأس حربة في ذلك.

إنهم يعرفون تاريخ الإسلام والمسلمين ويعرفون حروبهم، وتفوّقهم في الحرب، وتفوُّقهم في السلم كذلك ، ويعرفون قدرة الإسلام على الانتشار، وقبول الناس له عندما يتعرفون عليه، وعندما يُخلّى بينهم وبينه على حقيقته؛ لذلك لا يملكون إلا الكذب والخداع وتشويه الحقائق والتخويف من الإسلام وزعم أنه إرهاب ودموي... أو التنفير منه بناء على أنه ضد الديمقراطية، وضد الحريات، ويظلم المرأة... لذلك فعندما رأوا المسلمين في البلاد الإسلامية في آسيا الوسطى، وكذلك في روسيا وسائر الجمهوريات الإسلامية في روسيا يقبلون على هذه الأفكار، وعلى **حزب التحرير**، انتفضوا وأصابهم الذعر، وشكلت لهم

كلمة الخلافة التي تلخص الهدف السياسي لـ **حزب التحرير**، والتي أخذ يتنامى تطلع مسلمي تلك البلاد إليها، واعتبارها حاميتهم ومخلصتهم مما هم فيه من ظلم تاريخي وانتقاص من حقوقهم، ويعدونها رمز تحررهم، ورمز وجودهم السياسي ورمز هويتهم، شكلت لهم هاجسًا تنادَوا لمواجهته، وأنشأوا لأجل ذلك المجالس والتحالفات الدولية والمنظمات كخماسي شانغهاي الذي تحول فيما بعد إلى منظمة شانغهاي للتعاون، ووقعوا اتفاقيات ذات بنود كثيرة ومتنوعة لمواجهة الإسلام تحت مسمى الإرهاب، وكان تعاونهم في هذا الشأن قويًا وحقيقيًا، وكذلك كان منسجمًا مع ما تصدره الأمم المتحدة من قوانين واتفاقيات لمواجهة الإرهاب.

استمرت هذه الأجواء والأحوال من مطلع تسعينات القرن الماضي إلى أن اندلعت الثورات العربية مع بداية العقد الثاني من هذا القرن الواحد والعشرين، وقد كان في هذه الثورات مفاجأة ثانية للعالم الغربي ولروسيا، وكانت المفاجأة أشد وقعًا على روسيا. لقد فاجأهم في ثورات البلاد العربية تطلع الشعوب إلى إسقاط الأنظمة وليس فقط الحكام، فالحناجر التي ترددت أصداؤها في العالم لم تكن تصدح فقط بإسقاط الحكام، بل كانت تهدر بإسقاط النظام كله. ولقد أسقط في أيدي الدول الاستعمارية المهيمنة على بلاد العرب والمسلمين والدول القامعة للشعوب الإسلامية؛ إذ إن هذه الأنظمة التي تطالب الشعوب بإسقاطها تنص دساتيرها على أنها أنظمة ديمقراطية ورأسمالية، وأنها تتبنّى قوانين وأنظمة الأمم المتحدة في الحقوق والتشريعات، فلا يناسب الدول الغربية تغيير الأنظمة في بلاد المسلمين، وإنما يناسبهم فقط تغيير الحكام والمجيء بحكام عملاء مثلهم. وفي الوقت نفسه تزعم هذه الدول الغربية أنها تشجع الديمقراطية واستقلال الشعوب والحريات، ومن ذلك حق الشعب في اختيار أنظمته وحكامه؛ لذلك تفاجأت الدول الاستعمارية والمعادية للإسلام، أي كل دول العالم، من وعي الشعوب ومطالباتها بتغييرات تتسم بالجذرية، وليس فقط بتغيير أشخاص الحكام، فهذا لا يتفق مع مصالح أمريكا أو أوروبا، ولا مع مصالح روسيا أو أمنها. ثم إن المفاجأة الأهم والأخطر على الدول الغربية في هذه الثورات كانت المطالبة بالإسلام، فالشعوب تريد التغيير على أساس إسلامي. ثم تبلور هذا التوجه في سوريا بشكل واضح وظهرت كلمة الخلافة وانتشرت عند كثير من الفصائل وعند الناس، ولاقت رواجًا إلى حد اضطرت معه أمريكا إلى المخادعة والتخطيط لمصادرة هذا التوجه من خلال إيجاد تنظيم يعلن نفسه دولة إسلامية في العراق والشام، ثم يعلن أنه أقام الخلافة. فهذا يدل على مدى انتشار فكرة إيجاد دولة الخلافة، الأمر الذي استنفر له العالم ونزل على رأس

روسيا كالصاعقة.

نعم لقد كان الأمر خطيرًا بالنسبة لروسيا، فهي منذ ما يزيد على عقدين تواجه أو تعيش خطر انتشار الفكر الإسلامي السياسي في محيطها الواسع وفي داخلها، وتجده يزداد انتشارًا وتهديدًا لها. ثم جاءت الآن الثورات العربية، وبالذات الثورة السورية، تهدد بإقامة دولة الخلافة في سوريا، وهي ترى أيضًا مع هذا الأمر عدة أمور أخرى، منها أن الذي يقود الدعوة إلى الخلافة في سوريا هو **حزب التحرير**، وهو نفسه الذي يقودها أيضًا في جمهوريات آسيا الوسطى وفي روسيا وفي تركستان الشرقية غرب الصين. وكذلك هي ترى وتدرك أن هوية المسلمين داخل روسيا وفي محيطها ستكون نفس هويتهم التي تعلن عنها الخلافة عند قيامها في أي مكان آخر، وقد أصابهم الذعر من أن تقوم الخلافة في دمشق. فدمشق بوابة إلى العالم، ودمشق جند الفتوحات، ودمشق لا يزال محفورًا في جدرانها، وتشهد مساجدها، وتذكِّر الناس مآذنها، وتنطق أسواقها بأنها عاصمة الخلافة، ودمشق ما تزال أجواؤها وسماؤها، رغم كل عاديات الزمان ونوائب الدهر، تعبق بعبير الخلافة وتشدو بعزها. وهذا كله يقلق روسيا التي تعاني - كما كان الاتحاد السوفياتي قبلها يعاني - من أزمة الهوية أو الهويات لدول المنطقة؛ لذلك أصابها الذعر أكثر عندما أحست باحتمال إقامة الخلافة في دمشق. فالمسلم الأوزبيكي، والمسلم الطاجيكي، والمسلم الشيشاني، والمسلم الإيغوري، والمسلم الروسي، وكل مسلمي المنطقة، سواء أكانوا في أوزبكستان، أم في الصين، أم في روسيا، وأينما كانوا، ستكون تبعيتهم للخلافة التي تقوم في الشام. وإذا أضفنا إلى ذلك العداء التاريخي البعيد والقريب للمسلمين، والإبادات التي مارسها الروس وأشياعهم من السلاف إبان الحقبة الشيوعية، أو الصرب في العصر الحديث، أو من أتباع المذهب الأرثوذكسي قبل الشيوعية وفي عهد الملكة كاترين، وقبل ذلك إيفان الثالث، وإيفان الرهيب، فإنهم سيشعرون بالخطر القادم قريبًا منهم. أضف إلى ذلك ما يقومون به حاليًا في مواجهة ثورة مسلمي سوريا، ومساعدة نظام بشار أسد وتزويده بالأسلحة التي يفتك بها بالناس، ثم مجيء روسيا نفسها بأعتى أسلحتها وأحدث طائراتها وأفتك صواريخها لقتل الأطفال والنساء والمدنيين... فهذا يزيد من رعب روسيا وارتجافها من مجرد تصور وجود كيان سياسي للمسلمين يرمز لوجودهم ووحدتهم كأمة، أو من مجرد ذكر اسم الخلافة أو ذكر إقامة دولة الخلافة في أي مكان في الأرض؛ لذلك، وفي زحمة هذه الأحداث والمخاوف، لم يكن مستغربًا أن نجد السلطات الروسية تتصرف تصرف المضروب على رأسه، وتعتبر أن كتاب «نظام الإسلام» مثلًا وكتاب «من مقومات النفسية الإسلامية» اللذين يتبناهما حزب

التحرير ويدرسهما، تعتبرهما من الأدلة على الإرهاب، وعلى كون من يقتنيهما إرهابيًا. وصدق الله العظيم القائل: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر:١٣]. إنهم مرعوبون وبرتعدون، وحق لهم ذلك، فالخطر على ظلمهم وفسادهم كبير وليس صغيرًا، وهو قريب وليس بعيدًا، بل هو واقع.

بناء على ما سبق، نفهم تصريحات المسؤولين الروس ضد الخلافة، وضد الإرهاب والتطرف، وضد ما سمَّوه الخلافة المتطرفة، ونفهم رعبهم من الثورة السورية، ومن توجهها نحو الإسلام والخلافة، ومن الصحوة الإسلامية و**حزب التحرير** في روسيا والدول القريبة منها. وكذلك نفهم دعمهم المستمر لنظام بشار أسد وإصرارهم على هذا الدعم، ومسارعتهم إلى تقديم هذه الخدمات لأميركا بكل رضى، كما نفهم مجيئهم السريع وتواجدهم الكثيف بهذا الكم الكبير من الإمكانيات والجنود في سوريا، رغم حاجتهم لإرضاء المسلمين، ورغم أوضاعهم السياسية المضطربة والاقتصادية المتردية.

إن الحديث عن موقف روسيا اليوم، والدول المجاورة لها في آسيا الوسطى وغيرها، من الإسلام والخلافة، وعن استراتيجيتها تجاه الإسلام والمسلمين، يقتضي أن نقوم بجولة في تاريخ تلك المنطقة وجغرافيتها. وسنحاول اختصار هذه الجولة قدر الإمكان وقصرها على ما يلزم للبحث. إلا أننا سنوثق -قبل ذلك- ما ذكرناه أعلاه من عداء روسيا للإسلام ورعبها من الخلافة، من خلال بعض تصريحات المسؤولين الروس

[يتبع]

بوتين:
«موسكو لن تسمح بأن تصبح روسيا دولة الخلافة».

أجرى المخرج الأميركي الشهير أوليفر ستون مقابلات مع بوتين، وقد تم بثها في فيلم وثائقي مكون من أربعة أجزاء وعنوانه: «مقابلات بوتين» وبدأ عرضه في ٢٠١٧/٦/١٢م على القناة الترفيهية الأميركية «شوتايم»، وفي روسيا على «القناة الأولى». وأخبر بوتين ستون بأن «موسكو لن تسمح بأن تصبح روسيا دولة الخلافة». وعن أسباب مشاركة القوات الروسية في العمليات العسكرية في سوريا، أجاب بوتين: «إنهم سينشرون الخلافة من جنوب أوروبا إلى آسيا الوسطى»، وأظهر الفيلم التوسع الأسود على خريطة العالم الذي يمثل انتشار الخلافة، والتي تتسع لتشمل البلاد الإسلامية دون استثناء، وشبه جزيرة بيرينان وأبينين والبلقان. وعلاوة على ذلك فإن الحدود الشمالية لدولة الخلافة التي صورها الفيلم تحدها مباشرة روسيا في منطقة آسيا الوسطى. وردًا على كلام ستون

الاستفزازي: «أو أن موسكو ستقام فيها الخلافة»، قال بوتين ضاحكًا: «حسنًا نحن لن نسمح بذلك، ولكن ابقوا حذرين من أن تقام الخلافة في واشنطن بدلًا من ذلك».

الوعي: إن الهجوم على الخلافة، ومن بوتين بالذات، هو هجوم جدي، وهو ليس جديدًا. بدأ قبل اصطناع ما يسمى بتنظيم الدولة، وقبل تدخله المباشر في سوريا؛ فقد صرح عام ٢٠٠٤م في مقابلة مع إحدى القنوات التلفزيونية قائلًا عن العاملين لإقامة الخلافة: «بالمناسبة إن أهدافهم لا تقل عن العالمية، على سبيل المثال إنشاء الخلافة سيئة السمعة. وبالنسبة لنا فإن ذلك يرتبط بعواقب وخيمة وملموسة وغير مقبولة على الإطلاق، وهذا يعني بالنسبة لنا فقدان العديد من الأراضي في المقام الأول في جنوب البلاد، ويعني احتمال اختلال هيكل الدولة الداخلي».

- يبدو أن الخلافة تدخل محاربتها والعمل على منع قيامها في صميم سياسة روسيا الخارجية، وتحديدًا في سوريا. وهذا ما بيَّنه بوتين حين سأله ستون عن أسباب مشاركة القوات الروسية في العمليات العسكرية في سوريا: «إنهم سينشرون الخلافة من جنوب أوروبا إلى آسيا الوسطى»، وقد سبقه تابعه في الشر وزير خارجيته لافروف حين ألقى كلمة أمام الجمعية العامة التابعة للأمم المتحدة في ٢٠١٣/٩/٢٧م حذَّر فيها من أن «أكثر المجموعات المسلحة قوة في سورية هي المجموعات الجهادية، ويهدفون إلى تدمير الدول العلمانية، وإقامة خلافة إسلامية». وبعد خروجه من اجتماعات الأمم المتحدة، صرَّح بأن بلاده لا تستبعد إشراك المعارضة السورية المسلحة في مؤتمر (جنيف٢) ما لم تكن تفكر في إقامة الخلافة".

- واضح من كلام بوتين أن سعي المسلمين لإقامة الخلافة هو الهاجس الذي يؤرقه، فقوله: «موسكو لن تسمح بأن تصبح روسيا دولة الخلافة». وتحذيره واشنطن من هكذا مصير. وخوفه من انتشار الخلافة ووصولها إلى حدود بلاده... كل هذا يشير إلى مدى القلق والهاجس الذي يسيطر على فكر الرجل.

- إن عرض هذه المقابلات في فيلم يشير إلى حملة دعائية واسعة هدفها تأليب الرأي العام العالمي وفحواها «احذروا الخلافة». وهذه الحملة باتت تؤتي علقمها في روسيا؛ فعلى سبيل المثال، قال والد أحد الطيارين الروس الذين لقوا حتفهم في سوريا معلقًا على وفاة ابنه: «إنه توفي دفاعًا عن أرض آبائه بسلاحه الذي في يديه، حتى لا تصل هذه العدوى السوداء إلينا، وبذلك لن نضطر للبس البرقع ونصلي كل أربع ساعات».

- إن عداء بوتين للخلافة عداء متأصل، وهو يخشى حقيقة على بلاده منها؛ حيث يقبع أكثر من ٢٠ مليون مسلم؛ لذلك هو يشد النكير على كل من له علاقة بالخلافة، وأولهم **حزب التحرير** الذي يقبع كثير من شبابه سجونه، وحيث تصل عقوبة الانتماء إليه في بعض محاكمه بالفعل إلى السجن مدى الحياة ■

بسم الله الرحمن الرحيم

لماذا السياسة الأميركية في الشرق الأوسط قائمة على هذا الإجرام؟

عبد الكريم أبو مصعب - الجزائر

من المؤكد أن صناعةَ السياسة الأميركية - خصوصًا الخارجية - عملية مركبةٌ ومعقدة، وأن اتخاذ القرار فيها ليس وليد اللحظة، ولا هي قرارات آنية لرئيس يتحكم بها، بل يساهم في رسمها عددٌ من الأطراف؛ ولكن مع ذلك فهي ترتكز على أساس ثابت ينبع منه أو يتحدد بموجبه صنعُ القرار، لا يتغير بتغير الرئيس أو الحكومة.

ولذلك نستطيع أن نجملها في ثلاثة أطر هي:

• السياسة العامة للمؤسسات الأميركية: وهي تجبر الرئيس على التحرك ضمنها (الكونغرس الأميركي بغرفتيه النواب والشيوخ) وهم يتحكمون بجميع الملفات، وخاصة ملف ما يطلقون عليه الشرق الأوسط بشكل كبير جدًا؛ لأنهم يرسمون مخططات عالمية بعيدة المدى.

• سياسة الرئيس الخاصة، بما منحه إياه دستور ١٧٨٧م، وفريق عمله بما تسمح به المجالس الديمقراطية المنتخَبة في أميركا.

• سياسة مختلطة بينهما: وهذه تؤثر على السياسة الداخلية والخارجية، وهي التي تعطي الانطباع الكاذب بتغير السياسة الأميركية بتغير شخص الرئيس. فقد يُصنع القرارُ في دهاليز الدائرة الأولى، وتتكفل الدائرة الثانيةُ بنشر القرار وكأنه صادر عنها، وهنا تنطبع صورة أن السياسة الأميركية تتغير بتغير الرئيس. نعم طيلة المرحلة السابقة كنا نلاحظ أن هنالك حزبين كبيرين هما من يتداولان على السلطة وصنع القرار:

١ - **الجمهوريون:** ومنهم المحافظون الجدد، وتتمثل سياستُهم بالشدة والحرب والمواجهة، أمثال الرئيس الأسبق جورج بوش.

٢ - **الديمقراطيون:** وهم دائمًا يأتون بمواقف سياسية قابلة للحل والتميُّع، والرخاء الاقتصادي للداخل الأميركي بشكل عام. هم ديبلوماسيون من أمثال كلينتون وأوباما؛ حيث قال الأخير مثلًا: «نحن الأميركيين، لازلنا نعتقد أنَّ تحققَ الأمن والسلام لا يتطلب حربًا دائمة».

وأخيرًا جاء الرئيس دونالد ترامب، وكأنه ظاهرة فريدة، أو هو من خارج السرب. فهل يا ترى سوف يغيِّر في السياسة الأميركية؟ أم أن مجيئه ليس مصادفةً، بل هو موجودٌ في سدة الحكم لخطة معينة، ومهيَّأٌ لهذه الفترة

تحديدًا؟. لو عدنا إلى تاريخ السياسة الأميركية منذ نهاية القرن التاسع عشر لوجدنا أنها مرت في ثلاث مراحل، لكل مرحلة أيديولوجية خاصة، وكل واحدة منها ارتبطت بثورة تقنيةٍ صناعية.

• مرحلة «دعه يعمل»: وقد ارتبطت بعصر الصلب والكهرباء، وهي من عام ١٨٧٩م إلى عام ١٩٢٩م.

• مرحلة «العهد الجديد»: وقد ارتبطت بعصر السيارات والإنتاج الصناعي عمومًا من عام ١٩٣٢م إلى عام ١٩٧٣م.

• مرحلة «ثورة المحافظة»: وقد ارتبطت بعصر الشركات والعولمة المالية منذ عام ١٩٨٠م ومازالت، **وهي في طور الانهيار.**

ونلاحظ أن المرحلة الأولى مثَّل ثورتَها أبراهام لنكولن حيث انتُخب عام ١٨٦٠م، كما مثل ذروتها الرئيس تدي روزفلت الذي انتخب عام ١٩٠١م، ومثل لحظة انهيارها هربرت هوفر الذي انتُخب رئيسًا عام ١٩٢٨م، وهو الذي كان عهده لحظة نهايةِ الرأسمالية التقليدية (الأزمة المالية أو الكساد الكبير ١٩٢٩م). وكان السياسيون الأميركيون يعلمون ويتوقعون أنه سيكون هناك انهيار مالي، فكان حل الخروج من تلك الأزمة هي الحرب العالمية الثانية، وبتلك الحرب استطاعت الرأسمالية إعادةَ نفسها من جديد، ودخلت في مرحلة العهد الجديد الذي مثل ثورته الرئيس فرانكلن روزفلت؛ حيث انتُخب عام ١٩٣٢م، ومثل ذروتَها ليندون جونسون الذي انتُخب عام ١٩٦٣م. كما مثل لحظة انهيارها الرئيس الديمقراطي جيمي كارتر الذي انتخب عام ١٩٧٦م، والذي أخفق في تجاوز التضخم وأزمة الطاقة.

وأيضًا كان السياسيون الأميركيون يعلمون أنهم على أعتاب انهيار مرحلة؛ ولذلك أدت هذه الأزمة إلى زيادة الاهتمام بالنفط ومصادره حيث تم إنشاء شركات عابرة للقارات، والاتجاه نحو العولمة المالية، وما سمي بمرحلة «ثورة المحافظة» التي مثل ثورتَها الجمهوري رونالد ريغن الذي انتُخب عام ١٩٨٠م، ومثل ذروتها جورج بوش الأب الذي وصل إلى البيت الأبيض عام ٢٠٠٠م. وسوف يمثل انهيارَها بمشيئة الله الرئيس الحالي دونالد ترامب الذي انتخب عام ٢٠١٦م. **كما أن السياسيين الأميركيين يعلمون كل العلم أنهم على أعتاب انهيار النظام المالي (الكارثة)**، خلال فترة ليست بالطويلة، وأن ليس هناك أي وسيلة للحيلولة دون وقوعه. وكل ما في الأمر هو أن اتُّخذت إجراءات لتأخير حدوثه قدر الإمكان، حيث قال الرئيس دونالد ترامب خلال حملته الانتخابية: «لا مانع عندي من أن أعلن إفلاس الولاياتِ المتحدة الأميركية!!».

وبهذا نجد أن الولايات المتحدة الأميركية قد فقدت الأملَ من الحيلولة دون وقوع هذا الانهيار المالي العالمي، وهي - بمبدئها الرأسمالي الجشع - المسؤولة عنه، وهذا ما عبر عنه أكبرُ اقتصادي العالم.

وبعد أن أيقنت الولاياتُ المتحدة الأميركية أنها ملزمة في خوض غمار هذا الانهيار، حوَّلت

- ومنذ فترة - أنظارَها ومخططاتِـها إلى كيفية إعادة نفسها ومبدئها من جديد، أي بشكل آخر، حتى تُـبقي على سيطرتها على العالم لفترة جديدة، وربما لأمد أطول، فوجدت أنه يجب عليها تحديد مَن الذي يمكن أن يكون البديل لها، فوجدت الجواب من شقين: من داخل المبدأ ومن خارج المبدأ.

أما من داخل المبدأ: فقد وجد الأميركان- إن استطاعوا وأدَ أي مبدأ آخر من الظهور - أنه مَن يستطيع إعادة نفسه زعيمًا لهذا المبدأ فلابد له من امتلاك **مقومات الاقتصاد الحقيقي**؛ لأن المرحلة القادمة بعد الانهيار **سوف تعتمد حتمًا على الاقتصاد الحقيقي**، وهذا الاقتصاد بحاجة إلى أدوات، بل الكثير من الثروات، أي موارد كبيرة جدًا؛ ليتمكن من التحكم بمفاصل الاقتصاد العالمي، وليكون العالـمُ بأسره محتاجًا لما لديه من الموارد (طاقة – مواد أولية – معادن – ذهب - سيطرة على الممرات البرية والبحرية والجوية - توسط من ناحية الموقع الجغرافي ..إلخ). كما لاحظوا أيضًا أن هذه الأمور والأشياء **ليست متوفرة سوى في منطقة واحدة هي الشرق الأوسط لا غير**. وهذا يعني أن مَن تكون له **السيطرة على الشرق الأوسط** (البلاد الإسلامية) هو الوحيد الذي يستطيع إعادةَ نفسه وفرض هيمنته وشروطه على العالم بأسره!!؛ ولذلك نظرت أميركا إلى أكبر القوى الدولية الموجودة حاليًا، فوجدت أنها الصين وأوروبا. أما الصين فصحيح هي مارد اقتصادي، ولكنه لا يملك الطاقة ومميزات (ثروات) الشرق الأوسط. كما لا تمتلك الصين أيَّ تواجد في الشرق الأوسط حتى تسيطر عليه، فهي لا وجود لها خارج أراضيها، ناهيك عن كون علاقاتها بالجوار (الصيني) سيئة. كما وأنها تفتقر إلى واقع دولي مرموق؛ ولذلك فهي بعيدةٌ كل البعد عن امتلاك إعادة نفسها بسرعة.

وأما أوروبا فإنها قادرة وبقوة على استعادة مكانتِـها في الشرق الأوسط، وخاصة بريطانيا، وهذا هو ما يفسر تصميم بريطانيا على الخروج من الاتحاد الأوروبي (بريكست)، بغض النظر عما لها من فوائد آنية أو مرحلية من هذا الخروج؛ وذلك كي تتفرد هي، لكي لا تعيقها الدول الأوروبية، ولا يكون عليها التزامات ومعاهدات؛ لأن بريطانيا تمتلك بالفعل - ومنذ زمن بعيد - أوساطًا في منطقة الشرق الأوسط والخليج خاصة؛ **لذلك كان لزامًا على الولايات المتحدة الأميركية قطع يد بريطانيا خاصة، وأوروبا عامةً من منطقة الشرق الأوسط برمتها**. وهذا هو ما يجيب على تساؤل العامة: لماذا تغير أميركا من عملاء الخليج، مع أنهم لا يخالفون لها أمرًا، ولا يستنكرون لها رأيًا، ولا ينكرون عليها فعلًا؟ ومع ذلك فقد رأينا الهجمات الإقصائية لهم، والعمل على تقويض حكمهم، ووضع حكام جدد يخضعون وينفذون كل ما تطلبه أميركا منهم، كما وضعت لهم بطانة جديدة ومعارضةً تابعةً لها (أي لأميركا) حتى تُـحكم السيطرة

نهائيًا. وهو أيضًا ما يفسر سعيَ أميركا لزعزعة الاتحاد الأوروبي أو تقويضه، وذلك بدعم أي حركة انفصال دولي أو إقليمي في أوروبا. وإذا كان هذا العمل في الحقيقة يشكل عبئًا ثقيلًا على الولايات المتحدة الأميركية في هذه المرحلة، إلا أنه هو الضامن الوحيد لكي تبقى هي القوة أو الدولة التي تستطيع إعادةَ نفسها بسرعة، والسيطرة على العالم من جديد.

وأما من خارج المبدأ: فهي تعلم علم اليقين أن المبدأ المنافس الوحيد هو الإسلام، لذلك جعلت من الإسلام الحقيقي عدوًا لها، إذ منذ زمن وهي تحارب الإسلام، ولكن ليس بطريقة المواجهة المباشرة، وإنما أخذت تحاربه بما لديها من عملاء وخونة ومشايخ عبر المال القذر، وسخرت كل قدرات المخابرات لها وللعالم أجمع لتدير المخططات بالطرق المعلنة، وغير المعلنة، وبالطرق الرسمية وغير الرسمية. وتعلم أنه إن كتب له الظهور، **فسيكون على الأرجح في منطقة الشرق الأوسط**، وسوف يشكل عليها خطرًا كبيرًا جدًا، ولو ببقعة صغيرة وعلى يد مجموعة صغيرة تَعرف كيف تدير الأمور! وكونها مخلصة لله تعالى القوي العزيز، ولو كانت صغيرة، ومتمسكة بمبدئها الإسلام تمسكًا قويًا، فهي لن ينقصها أي شيء لتقود العالم... فلن يطول الزمن ويعود «مارد الإسلام» ليأخذ مكانَـه الطبيعي في هذا العالم، فهو يمتلك منهجًا ربانيًا قويمًا لينتشل العالـمَ من ظلم الرأسمالية وجشعها وسفالتها، ويعيد لكل ذي حق حقَّه، ويقود العالم إلى عز الدنيا وعز الآخرة، ناهيك عن أنه يمتلك كل ما يلزمه للمرحلة القادمة. **وبسرعةٍ منقطعةِ النظير سوف يصبح هو سيد العالم بلا منازع، وسيعود إلى سابق عهد الدولة التي لا تقهر.**

ولذلك كان الشرق الأوسط ذا أهميةٍ خاصةٍ جدًا؛ ولذلك أيضًا نجد أن الولايات المتحدة الأميركية تبذل الغالي والنفيس لمنعه من السيادة، وتستخدم أزلامها في تنفيذ مخططاتها، وتسحق من يقف في طريقها؛ لأن المسألة بالنسبة لها: إما أن تكون، أو لا تكون. ومن خططها ما يلي:

- حاربت الإسلام الحقيقي أي المبدأ الصحيح الذي هو «الإسلام السياسي» لأنه هو الخطر الحقيقي عليها؛ لذلك عمدت إلى تشويهه، وادّعت أنه لا يصلح للحكم في هذا الوقت، وهي تخفي أيَّ هجوم صريح عليه؛ لأن الأمة إذا التفت حوله وأدركت قوتها فستنتهي هي (أي أميركا)!!؛ ولذلك أوجدت تنظيمَ الدولة (داعش) ليعلن خلافة إسلامية لكي يشوه صورتها بتنفيذ أعمال شنيعةٍ وأحكام على غير شريعتها، وتقوم هي وكأنها الراهب الرحيم بهذه الأمة.
- وضعت يدها كاملة على هذه المنطقة، منطقة الشرق الأوسط، وقطعت كل الأيادي القديمة والجديدة، وها هي في طور إنهاء إعادة تشكيله تمامًا، وذلك لضعف الأطراف الأخرى.
- عملت على طمأنة «الزعماء السنة»

الرئيسيين، والالتزام بأمنهم، وتصدت ظاهرًا لـ«الشيعة» ولخطر الشيعة الوهمي!!

• عملت على إضعاف القدرة العسكرية لدول الشرق الأوسط، وذلك باستنـزاف قدراتها في حروب محلية وإقليمية، وراقبت منع امتلاكها لأية أسلحة حديثة.

• إبعاد فكر الإسلام عن الحكم، وجعله «تعبديًا» قاصرًا على ناحية علاقة الإنسان بخالقه، وإرخاء الحبل للصوفية من جديد، وذلك عبر إحياء واستنساخ مشايخهم، ودعمهم ماليًا وإعلاميًا، وتغيير مناهج التعليم، وإخفاء جوهر الإسلام.. إلخ.

• وبعد تحقق ذلك هي لا تريد أية زعامةٍ كبيرة في المنطقة لما لها من خطر مستقبلي، وهذا ينطبق خاصةً على السعودية، وتركيا، ومصر.

• السماح ودعم التغلغل (الإسرائيلي) في المنطقة عبر علاقات مع دويلات العرب وإكمال فكرة التطبيع.

• إنشاء حكومات في الشرق الأوسط لا تستطيع وحدها بناء دولة قوية، وإيجاد معارضة شرسة لها تكون في داخلها تابعةً لها أيضًا، حتى يتسنى لها قلب الموازين في أي وقت، ولمنع أي تغلغل أوروبي منافس فيها.

وبعد هذا السرد الموجز نقول: **إن أميركا تسعى فعلًا جاهدةً - ومنذ زمن - لفرض سيطرتها على هذه المنطقة. ولكنها ظنت أنه بتمام ما تفعل من إخماد للثورات، وتنصيب العملاء الجدد، وتضليل الشعوب الإسلامية، وإفقارها رغم غناها، وتجزئتها رغم ما تمتلك من أسباب الوحدة، وإقناع شعوبها وحكوماتها أنه لا حول ولا قوة لهم، وأنهم لا يستطيعون فعلَ شيء حيال ذلك.. فإنها سوف تحافظ على هذا المارد في غيبوبة طويلة أخرى**!!؛ ولكن الأميركان أغفلوا أن هذه الأمة هي في مرحلة الاستيقاظ، وأنه هناك ثلة من المخلصين الذين وعوا ما يحاك لهذه الأمة، وأعدُّوا العدة، وهم جمر تحت ركام ما يطفئون، وسوف ينقضون عليهم، وهم على دراية بما يفعلون، وما يخططُ له الغرب الماكر، وهم يحملون دستورهم ومنهجَهم الرباني المنبثق من الكتاب والسنة، وقد تسلحوا بكل ما يلزم، ويغذون خطاهم للسير على خطى رسولهم الكريم محمد ﷺ.

من هنا فإننا نناشد كلَّ مخلص من أهل القوة الذين لم تلوث أيديهم بالخيانات ولا بدماء المسلمين، أن يهبوا إلى نصرة هذا الدين، ولا يكونوا كالحكام الخونة عميان البصر والبصيرة، وأن لا ينظر الواحد منهم تحت قدميه فقط، وأن لا يجعلوا الواقع مصدر تفكيرهم، وألا يتناسوا أو يتغافلوا عن إمكانيات هذه الأمة العظيمة بمبدئها وعقيدتها وشعوبها ومواردها.. فهؤلاء الحكام، لو فكر أحدُهم مجرد تفكير بأن ينصر الإسلامَ والمسلمين اليوم؛ لأصبح أكبرَ وأعظمَ قائدٍ في العالم، ولفاز بعز الدنيا والآخرة، ولكن الله جل شأنه لا ينصر خوانًا أثيمًا، ولا خائنًا ذليلًا ارتضى أن يكون عبدًا لغير الله.

فأقول لكم: يا أهل القوة، ويا قادةَ جيوش هذه الأمة... لا تنظروا تحت أقدامكم فتقولوا: أين نحن من هذه القوى المحيطة بنا؟ أو أين نحن من قوة أميركا وغيرها؟ وأن ليس لنا إلا أن ننفذ ونطيع ونطبِّع، أو إن نصرَ هذا الدين سوف يأتي زمانه ولكن ليس هذا اليوم هو زمانه، وأننا لا يمكن أن نصمد ولو ليوم واحد؟ وأنه لو أرادوا إبادتَنا لفعلوا؟!

انظروا إلى ثورة الشام: كل قوى العالم مجهزة بأعتى أنواع أدوات القتال، وأسلحة التدمير الشامل، ومكر الماكرين، والمال السياسي القذر، وبعد ست سنوات... لم يستطيعوا هزمها إلا بالمفاوضات، أليس هذا مثلًا حيًا أمامنا حتى نعي قوتنا؟ وأننا لو كنا تحت قيادة مخلصة، لوحَّدت الجهود، وللفظت المال القذر، ولأصمَّت الآذان عن الخونة والمغرضين، ولو تمسكنا بمبدئنا لانتصرنا بأقل كلفة.. من اليوم؟!

أليس لنا في قصص القرآن الكريم عبرة؟ فهذا طالوت جهز جيشًا لقتال العمالقة يبلغ قرابة ثمانين ألف مقاتل، وكانوا لا يظنون النصر فامتحنهم الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾، فشرب معظم الجيش إلا من اغترف، فلم يثبت منهم سوى أربعة ألاف مقاتل، وقال الباقون ما قال الله تعالى على لسانهم: ﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾.

بالله عليكم لو كنتم مكان هذا القائد فماذا ستفعلون؟ ربما سوف تقولون: اليوم ليس يوم نصر ولنرجع!... لكنهم لفظوا الواقع، ولم يتخذوه مصدرًا للتفكير، وقالوا ما ذكره الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةَۢ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فانتصروا بسبب ثباتهم على مبدئهم.

ونحن اليوم نمتلك من القوة ما لا حصر له، ولكننا لم ندرك أننا أقوياء، ولم ننظر لحالنا وقوتنا نظرةَ المبصر البصير، وتركناها مشتتة مبعثرة بينما الضباع تنهشنا، وكلابهم في بلادنا تذود عنهم بقتلنا، تُبعد الواعين وتقتل المخلصين.

فيا قادة هذه الأمة: كونوا سعدًا (رضي الله عنه)، وكونوا أنصار هذه الأمة! نعم قد نُحاصر، قد نكابد بعض الصعاب والشدائد، ولكننا منصورون بإذن الله ووعده!. فأعطوا قيادتكم إلى مشروع الأمةِ **مشروع حزب التحرير**، وانصروا دعوته. يا شباب هذه الأمة غذُّوا السير مع هذا الحزب العظيم، وتبنَّوا ما يتبنى.. لكي نعيد عز الأمة، ونحقق بشرى رسول الله ﷺ، خلافة على منهاج النبوة.

ويا شباب حزب التحرير، أنتم مطالبون بأكثر مما تقدمون، والله ناصركم، ومعز دعوتكم، ورافع رايتكم. واللهِ، إنَّ الله متمُّ نورهِ ولو كره الكافرون، فالحقوا مع الركب أيها المسلمون قبل أن يفوتكم فتكونوا من النادمين ■

بسم الله الرحمن الرحيم

صفقة القرن... مؤامرةٌ قديمةٌ متجدّدة!

حمد طبيب _ بيت المقدس

ما هي حقيقة هذه الصفقة المسماة بصفقة القرن؟ وما هي أهدافها؟ وهل هي حقيقة أم تصورات وأوهام؟. قبل أن نجيب عن هذه الأسئلة نقول: إن المؤامرات على أرض الأقصى وبيت المقدس لم تتوقف منذ اتفاقات (سايكس بيكو)، مرورًا بوعد بلفور سنة (١٩١٧-١٩١٦)م وحتى يومنا هذا، وكان من أبرز هذه المؤامرات تمكين اليهود من هذه الأرض المقدسة الطاهرة في ظل اغتصاب الإنجليز لها.. ثم تتابعت المؤامرات واحدة تلو الأخرى؛ لأن الهدف من تمكين اليهود أبعد وأعمق من تنفيذ وعد بلفور، وأبعد من إيجاد وطن قومي لليهود. فهناك مخطط غربي يرمي إلى إبعاد الأمة عن مشروعها الحضاري (الخلافة) بعد أن هدمه الكفار سنة ١٩٢٤م. وقد كان من أبرز أهداف إقامة كيان سياسي لليهود في فلسطين هو الحيلولة دون وحدة الأمة الإسلامية، والحيلولة دون عودتها كما كانت خلافة تطبق الإسلام. فكان الكيان الصهيوني قاعدة للغرب لضرب أية محاولة لتحرك الأمة نحو هدفها الصحيح، ورأس حربة متقدمة للتحرك السريع، قبل وصول جيوشه وإمداداته العسكرية لمحاربة هذا التحرك. من أجل ذلك كله فإن المحافظة على هذا الكيان، وتثبيته في منطقة ما يسمى بالشرق الأوسط هو هدف استراتيجي ثابت لا يتغير؛ عند جميع الدول الغربية. من هنا نقول بأن المؤامرة مستمرة، فهي قديمة ومتجددة.

إن هذه المؤامرة تهدف إلى أمور رئيسية متفق عليها عند الغرب جميعًا، ومن هذه الأمور:

١- تعزيز شرعية الكيان اليهودي وحقه في أرض فلسطين، والدفاع عن هذا الحق دوليًا وإقليميًا عن طريق ما يسمى بالممثلين لأهل فلسطين، وعن طريق المؤسسات الدولية والأحلاف العسكرية وغير ذلك من أمور سياسية...

٢- العمل على إيجاد السلام بين الكيان اليهودي وبين منظومة الدول المجاورة والدول في العالم الإسلامي، وفق القرارات والمؤسسات الدولية...

٣- التعاون الكامل بين جميع الدول في المنطقة – بما فيها الكيان اليهودي – لضرب ما يسمى بالإرهاب، أي الإسلام السياسي، والحيلولة دون عودة هذا الإسلام إلى سابق مجده وعزه...

• **أما صفقة القرن** التي يجري الحديث عنها هذه الأيام، فهي عبارة عن خطة سياسية رسمتها أميركا والساسة اليهود، وبالتعاون مع بعض عملاء أميركا في الشرق الأوسط؛ لحل قضية فلسطين (على شاكلة معينة)، وتهدف إلى خدمة المشروع الصهيوني داخل فلسطين، وتوطيد أركانه مع الأنظمة الحاكمة في العالم

الإسلامي، وتصفية قضية فلسطين، والتنازل عن ركائزها الأساسية التي أقرت في المحافل الدولية. وسميت بصفقة القرن نظرًا لأهميتها للإدارة الأميركية، وللكيان الصهيوني، وللدول المجاورة - أي هي أبرز حدث في حال تحققه في القرن الحادي والعشرين.

• **أما البعد التاريخي** لهذه الصفقة، فقد عرضت أميركا هذا الأمر، وهو توطين قسم من الشتات الفلسطيني في صحراء سيناء لإنهاء قضية اللاجئين، على الرئيس المصري عبد الناصر سنة ١٩٥٣م، بالتنسيق مع الأونروا، لكن الاحتجاجات؛ التي حصلت من أهالي غزة في ذلك الوقت قد عطلت تنفيذ هذا المشروع. جاء في تقرير للجزيرة بعنوان (صفقة القرن، طرح متعدد ومتجدد، بين الوعد والعراقيل) بتاريخ ٢٠١٧/٠٦/١٤م: «مشروع توطين ٦٠ ألف فلسطيني في سيناء أيام عهد جمال عبدالناصر، الذي نجحت غزة في إفشاله، ومشروع آلون للتوطين في سيناء؛ تحت مبرر عجز السلطة المصرية عن فرض سيطرتها الأمنية على سيناء). ثم طرح هذا المشروع مرة أخرى - من قبل أميركا - في عهد رئيس مصر (حسني مبارك)، فوافق عليه، وقام بجولات سياسية لإنجاحه؛ إلا أن الظروف الدولية لم تساعد على ذلك؛ حيث كشفت شبكة «بي بي سي» الإخبارية وثائق سرية بريطانية بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢٩م، جاء فيها: «إن الرئيس المصري الأسبق حسني مبارك قبل توطين فلسطينيين في مصر، قبل أكثر من ثلاثة عقود. وحسب الوثائق، التي حصلت عليها «بي بي سي» حصريًا، بمقتضى قانون حرية المعلومات في بريطانيا، فإن مبارك استجاب لمطلب أميركي في هذا الشأن».

وأبرز ملامح هذه الصفقة حسبما أوردته وسائل الإعلام هو **أولًا:** توطين قسم من مهجري أهل فلسطين من بعض الدول المجاورة، والبعض من غزة، داخل صحراء سيناء حتى منطقة العريش؛ لتكون هذه المنطقة مستقبلًا نواة لدولة فلسطينية منزوعة السلاح؛ ضمن مشروع دولي وإقليمي؛ ترعى تنفيذه العملي الحكومة المصرية بالدرجة الأولى، ويكون ارتباطه المباشر معها. **أما الجانب الثاني** من هذه الصفقة، وهو علاقة الضفة الغربية بالأردن، فيهدف إلى إيجاد حكم إداري أو ذاتي للسلطة الفلسطينية على شكل دولة شكلية خالية من كل معاني السيادة والقوة العسكرية؛ مرتبطًا بعلاقات معينة مع الأردن؛ مع بقاء المستوطنات والسيادة اليهودية والنواحي الأمنية. أما ما يتعلق بالقدس في هذه الصفقة، فإنها موحدة وعاصمة لليهود، مع ضمان حرية العبادة في الأماكن الدينية الثلاثة تحت السيادة اليهودية. فقد ذكرت جريدة القدس العربي في ٢٠١٧/١١/٨م بعض التسريبات عن هذه الصفقة منها: موافقة الإدارة الأميركية على الاعتراف بدولة فلسطينية (على الورق) فقط، مقابل تجميد الاستيطان (الإسرائيلي)، والحصول على تسهيلات في الاقتصاد والمناطق المسماة (ج) حسب اتفاق أوسلو، وكذلك تسهيل الحركة على المعابر؛ سواء معبر الكرامة الحدودي مع الأردن، أم معبر رفح الحدودي مع مصر،

كل ذلك بالتزامن مع التطبيع العربي مع دولة الاحتلال (الإسرائيلي). **أما الجانب الثالث** في هذه الصفقة والذي يشترطه اليهود، وتؤيدهم في ذلك إدارة ترامب، هذا الجانب هو حصول التطبيع مع الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي (بشكل صريح غير مخفي)، كما صرح بذلك رئيس وزراء الكيان اليهودي نتنياهو، في المؤتمر اليهودي السنوي (للسياسات والاستراتيجية) – ٢٠١٧م، الذي انعقد في مدينة هرتسيليا.

• لقد قامت الإدارة الأميركية الجديدة، في عهد ترامب بخطوات متقدمة عن طريق مستشاره السياسي كوشنر، بالتنسيق مع حاكم مصر (السيسي)، وولي العهد السعودي (محمد سلمان) من أجل إحياء هذا المشروع مرة أخرى. فقد ذكر موقع التلفزيون الروسي (أر-تي) نقلًا عن (وكالة بلومبيرغ) ٢٠١٧/١٢/٢م «أن (جاريد كوشنر) كبير مستشاري البيت الأبيض، قام خلال الأشهر الماضية بـ ٣ جولات إلى الشرق الأوسط؛ في إطار جهوده للإسهام في حل القضية الفلسطينية». وذكر موقع (ميديل إيست آي) البريطاني ٢٠١٧/١١/٢٣م، نقلًا عن مصدر دبلوماسي غربي ومسؤولين فلسطينيين: «إن فريقًا أميركيًا بصدد وضع اللمسات الأخيرة على «الاتفاق النهائي» الذي وضعه الرئيس دونالد ترامب». وجاء في موقع صحيفة (الخليج الجديد) ٢٠١٧/١١/١٠م، نقلًا عن موقع فضائية (آي ٢٤ نيوز) اليهودي: «جرى التدخل السعودي خلال اللقاء الذي جمع ابن سلمان مع الرئيس محمود عباس، والذي دعي فيه على عجل إلى الرياض» حسب التقرير الذي نشره موقع فضائية آي ٢٤ نيوز (الإسرائيلية)، وترجمته صحيفة (القدس العربي).

• هذا ما يتعلق ببعض المقترحات السياسية لما يسمى بـــ (صفقة القرن)، فهل تنجح هذه الدول الكافرة في تنفيذ المخططات السياسية لإنهاء قضية فلسطين وتركيع أهلها، وتركيع المسلمين في الدول المحيطة؛ للقبول بهذه المخططات الخيانية الإجرامية؛ لتصفية قضية الأقصى، وأرضه المباركة المقدسة؟!.

• الحقيقة، إن الدول الكافرة وهيئاتها الدولية قد رسمت المخططات التآمرية الخيانية، لقضية بيت المقدس وأرضه المقدسة، وقامت بجلب اليهود - على حين غفلة من الأمة، وخيانة من حكامها - إلى هذه الأرض المباركة. واليوم تحاول هذه الدول، والحكومات التابعة لها، عن طريق الضغوطات السياسية والإرهاب والحروب المصطنعه، تركيع الشعوب في العالم الإسلامي؛ لقبول هذا المشروع الإجرامي المسمى (بصفقة القرن).

إن الشعوب في العالم الإسلامي لن تقبل بمثل هذه المخططات الخيانية الإجرامية، حتى لو قبلت بها حكوماتها الجاثمة على صدورها. وقد عبر عن هذه الحقيقة رئيس وزراء الكيان اليهودي (بنيامين نتنياهو)، في كلمة ألقاها في البرلمان (الإسرائيلي) «الكنيست» في ٢٠١٧/١١/٢١م، بمناسبة الذكرى الأربعين لزيارة الرئيس المصري (السادات) للكيان اليهودي حيث قال: «إن العقبة الكبرى أمام توسيع السلام لا

تعود إلى قادة الدول حولنا، وإنما إلى الرأي العام السائد في الشارع العربي، والذي تعرض خلال سنوات طويلة، لغسل دماغ تمثل بعرض صورة خاطئة ومنحازة عن دولة إسرائيل».

• لقد مرت الأمة الإسلامية بفترات من الضعف والتفكك، ومن هوان الحكام بعد أن غزا الصليبيون أرضها واغتصبوا ديارها لأكثر من مائتي عام متواصلة. وكانت في حالة من التفكك والضعف والخصومة لا تحسد عليها، ومن كان ينظر إلى حال الأمة في تلك الحقبة المظلمة يظن أنها لن تقوم لها قائمة أبدًا؛ إلا أن هذه الأمة نهضت من سباتها، وقامت من كبوتها، وهيأ الله عز وجل لها قادة أفذاذًا مخلصين قادوها ووحدوا بلادها؛ أمثال (نور الدين آل زنكي)، و(صلاح الدين الأيوبي)؛ فأفشلت كل مشاريع الكفار، وحرَّرت ما اغتصب منها. وما حدث في عهد الصليبيين حدث بنفس الطريقة في عهد المغول الوثنيين، وفي عهد الاستعمار الأول. وقد رفضت الشعوب في العالم الإسلامي كل المشاريع لتصفية قضية الأرض المباركة؛ ابتداء من مشروع التقسيم ١٩٤٧م، وانتهاء بما يخطط اليوم عبر الوسطاء من الحكام العرب. ففي عهد عبد الناصر سنة ١٩٥٣م، سارت المظاهرات على قدم وساق، ضد هذا المشروع التصفوي، وارتقى في تلك المظاهرات أكثر من ثلاثين شهيدًا في منطقة غزة. وخرجت الجماهير الحاشدة ضد مشروع بورقيبة سنة ١٩٦٥م، واتهمته بالخيانة العظمى. وخرجت كذلك ضد كامب ديفيد وأوسلو ووادي عربة بالملايين؛ رفضًا لهذه المؤامرات. وها هي الشعوب تهبُّ بالملايين ضد هذه المؤامرة المسماة (بصفقة القرن) ضد القدس والمقدسات، وما زالت الأمة؛ اليوم وغدًا وبعد غد؛ ترفض أي تنازل، أو تطبيع، أو خيانة لقضية مسرى رسول الله ﷺ.

• **وفي الختام نقول:** إن صفقة القرن هذه لا تعدو كونها مشروعًا أميركيًا قديمًا حديثًا؛ تريد حكومة ترمب من وراء تجسيدها في الواقع -هذه الأيام- تحقيق مكاسب سياسية، وسابقة لم يصل إليها من قبله من الرؤساء، أي يريد أولًا تحقيق مكسب سياسي كبير، حسب تعبيره؛ ليكون ذلك دعمًا له في ظل الهزات التي يتعرض لها في البيت الأبيض. وإن هذا المشروع سيكون على جثث الآلاف من أبناء المسلمين في سيناء وفلسطين وغيرها من بلاد المسلمين، وخاصة عندما يبدأ ترحيل سكان سيناء جملة من مساكنهم، وعندما يبدأ ترحيل المخيمات داخل لبنان وسوريا قسرًا إلى هذه المنطقة. وإن إرادة الله سبحانه وتعالى فوق إرادة هؤلاء العملاء من الحكام، وإن مكر الله عز وجل فوق مكرهم؛ وخاصة أن هذا المخطط الإجرامي الرهيب يمس قضية أرض مباركة؛ فيها أولى القبلتين وثالث المسجدين. فنسأله تعالى أن يجعل مكر هؤلاء الكفرة اللئام في نحورهم، وأن يسلم أمة الإسلام من شرورهم، وأن يعجل لأمة الإسلام بالخلافة الراشدة على منهاج النبوة؛ لتحرِّر مسرى رسول الله ﷺ وكل بلاد المسلمين من دنس الكافرين.

اللهم آمين يا رب العالمين ■

بسم الله الرحمن الرحيم

رسم السياسات المالية: الإيرادات العامة (٥)

د.عايد شعراوي (رحمه الله)

أصبحت السياسات المالية أداة مهمة من أدوات التخطيط الاقتصادي في العصر الحالي، وتراقب الدول المعاصرة إيراداتها ومصاريفها لكي تضبط إيقاع المال والاقتصاد، وهنا سيتم، بإذن الله التعرض للموارد، والتي من أهمها الزكاة، ثم الضريبة، مع ذكر رأي العلماء في ذلك، ثم سيتم التعريج على حق الفقراء في مال الأغنياء خارج نطاق الزكاة، مع استعراض الأدلة الشرعية من القرآن والسنة على ذلك، وهذا يستدعي التطرق إلى آراء الفقهاء القدامى في ذلك.

وما تقدم ذكره سوف يتم بحثه على الشكل التالي:

المبحث الأول: الإيرادات العامة.

المبحث الثاني: قيام الدولة بجباية الزكاة وتوزيعها.

المبحث الثالث: فرض الضريبة، وآراء الفقهاء فيها.

المبحث الرابع: هل في المال حق سوى الزكاة؟.

أولًا: الإيرادات العامة

تقوم الدول المعاصرة باستعمال الإيرادات والنفقات، بوصفهما عاملين يتوازنان من أجل التشجيع على النمو والاستقرار الاقتصادي، فتتخذ الدولة قرارات يمكن بواسطتها إحداث تغييرات متعمَّدة في مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية، ويعبِّر مشروع الموازنة عن الوسائل التي سوف تنتهجها الدولة لتنفيذ سياستها المالية. وإذا كانت الدولة متخلفة اقتصاديًا، فإنها تستهدف من سياستها هذه تحقيق النمو الاقتصادي. أما إذا كانت غنية مكتملة النمو، فإنها تحاول تحقيق التشغيل الكامل لكافة عوامل الإنتاج، وتجنب التقلبات الاقتصادية العنيفة، مثل التضخم، والانكماش، والبطالة...إلخ.

المطلب الأول: الإيرادات العامة في الإسلام:

تتشابه أهداف دولة الخلافة خلال تطبيق سياستها المالية مع الأهداف المذكورة أعلاه، والتي تسعى إليها أية دولة أخرى. لكن لدولة الخلافة موارد تختلف عن الموارد التي للدول الأخرى. وتملك دولة الخلافة سلطة تحصيلها، بل من واجبها ذلك، وتعدُّ هذه الموارد أساس مكونات بيت المال، وتفصيلها كما يلي:

أولًا: الواردات الدائمة الدورية لبيت المال:

تتألف هذه الإيرادات من: الزكاة، والجزية، والخراج، والعشور، وواردات أملاك الدولة، وواردات الملكية العامة، وهي مفصلة في كتب الفقه والمال، القديمة منها والمعاصرة...

ثانيًا: الإيرادات غير الدائمة غير الدورية

لبيت المال: وهي تشمل الإيرادات غير الدائمة غير الدورية لبيت المال: الأنفال، أو الغنائم، وخمس الغنائم، والفيء، وخمس الركاز، والمعدن، والتركة التي لا وارث لها، وكل مال لا يعرف صاحبه. وقد وردت آيات قرآنية تبين حكم هذه الأموال، وتخاطب الجماعة بجمعها، وتحدد كيفية إنفاقها وتوزيعها. والخطاب للجماعة يقصد به من يمثلهم، وهو ولي الأمر، أو الخليفة بوصفه رأس الدولة، فقد ورد في القرآن الكريم عن الأنفال قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الانفال: ١] فجعل الله قسمتها للرسول ﷺ، وللخلفاء من بعده، ونزلت آية الغنائم يوم معركة بدر، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:٤١].

وقال تعالى عن الفيء: ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **[الحشر: ٦]**

وقال تعالى في الزكاة: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

كما ورد في الجزية قوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ **[التوبة: ٢٩]**.

المطلب الثاني: جباية الإيرادات:

تملك دولة الخلافة الولاية على الإيرادات الدورية وغير الدورية لبيت المال: جمعًا وإنفاقًا وتوزيعًا. وتدل النصوص القرآنية السابقة على ذلك، وتدل على ذلك أيضًا كتابات العلماء القدامى، من أمثال أبي عبيد، وأبي يوسف، ويحيى بن آدم القرشي، وابن رجب الحنبلي، وابن تيمية، والماوردي، وغيرهم.

فقد ورد في كتاب «الأموال» لأبي عبيد تحت عنوان: **«صنوف الأموال التي يليها الأئمة للرعية»** ما يلي: «فالأموال التي تليها أئمة المسلمين هي هذه الثلاثة التي ذكرها عمر، وتأولها من كتاب الله: الفيء، والخمس، والصدقة. وهي أسماء مجملة يجمع كل واحد منها أنواعًا من المال» [أبو عبيد، الأموال، ص:٢٢]. وتدل هذه الفقرة على أن **أئمة المسلمين هم أصحاب الولاية على المال المتعلق بالفيء، والخمس، والصدقة.**

وذكر أبو يوسف في السطور الأولى من كتابه «الخراج» ما يلي: «إن أمير المؤمنين [هارون الرشيد]، أيَّده الله تعالى، سألني أن أضع له كتابًا جامعًا، يعمل به في جباية الخراج، والعشور، والصدقات، والجوالي [جاء في معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، للدكتور نزيه حمَّاد، ص: ١٣٤ ما يلي: الجوالي:جمع جالية، وأصلها الجماعة التي تفارق وطنها، وتنزل وطنًا آخر، ومنه قيل لأهل الذمة الذين أجلاهم عمر عن جزيرة العرب (جالية)، ثم نقلت هذه اللفظة إلى الجزية التي أخذت

منهم، ثم استعملت في كل جزية تؤخذ وإن لم يكن صاحبها جلا عن وطنه].وغير ذلك ما يجب عليه النظر فيه، والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته، والصلاح لأمرهم. [أبو يوسف، الخراج، ص:٣]. أي إن أبا يوسف، وهارون الرشيد، يريان أن جباية الخراج، والعشر، والصدقة، والجزية، **هي من مسؤولية الإمام (الخليفة).**

أما يحيى بن آدم القرشي، فقد كتب عن الغنيمة: « فأما الغنيمة ففيها الخمس لله، وهو مردود من الله على الذين سمَّى الله: للرسول، ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل) لا يوضع في غيرهم، **وذلك إلى الإمام (الخليفة)** يضعه فيمن حضره منهم، بعد أن يجتهد رأيه، ويتحرَّى العدل، ولا يعمل في ذلك بالهوى» [يحيى بن آدم القرشي، الخراج، ص:١٧].

وقال عن الفيء: «والأرض إن شاء الإمام وقفها، وإن شاء قسَّمها، كما يقسَّم الفيء» [يحيى بن آدم القرشي، الخراج، ص: ١٩].

وتحدث ابن رجب الحنبلي عن الفيء، والخراج، بقوله: «**إن الإمام يخير بين الأمرين،** إن شاء قسَّمها بين الغانمين، وإن شاء لم يقسِّمها لعموم المسلمين [أي فيما بين عامة المسلمين]، وهذا قول أكثر العلماء» [ابن رجب الحنبلي، الاستخراج لأحكام الخراج، ص١٦].

ويقول ابن تيمية: «**فعلى ذي السلطان (الخليفة)،** ونوَّابه في العطاء، أن يؤتوا كل ذي حق حقه. وعلى جباة الأموال، كأهل الديوان، أن يؤدوا إلى ذي السلطان ما يجب إيتاؤه إليه، وكذلك على الرعية» [ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص:٢٩].

وتحت عنوان أصناف الأموال السلطانية، قال ابن تيمية: «الأموال السلطانية، التي أصلها في الكتاب والسنة، ثلاثة أصناف: الغنيمة، والصدقة، والفيء: [ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص:٣٢]. وأضاف قائلًا: «وإذا كان الإمام يجمع الغنائم، ويقسِّمها، لم يجُز لأحد أن يغلَّ منها شيئًا» [ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص: ٣٥].

أما الماوردي، فقد خصَّص بابًا لولاية الصدقات، وذكر فيه شروط هذه الولاية، وأشار إلى تعيين الإمام لهذا الوالي، وفرَّق بين ما إذا كان والي الصدقات من عمَّال التفويض، يتصرف برأيه واجتهاده، أم من عمَّال التنفيذ، فيقتصر عمله على رأي الإمام (الخليفة) واجتهاده. [الماوردي، الأحكام السلطانية، ص:١٤٥-١٤٨-١٤٩]. ومن ضمن ما قال في هذا المجال: «أحدها أن يتولَّى تقدير أموال الفيء، وتقدير وضعها في الجهات المستحقة منها، كوضع الخراج، والجزية. فمن شروط ولاية هذا العمل أن يكون حرًّا، مسلمًا، مجتهدًا في أحكام الشريعة، مضطلعًا بالحساب والمساحة [الماوردي، الأحكام السلطانية].

هذه بعض آراء العلماء القدامى حول مسؤولية ولي الأمر أو الخليفة (الدولة) عن تولي هذه الإيرادات، وإنه وإن كان حِرْز هذه الأموال هو بيت المال، إلا أن هناك اختلافًا في بعضها وتميُّزًا؛ وذلك فيما يتعلق بأوجه صرف هذه الإيرادات [وسيتم بيانه فيما بعد] □

[يتبع]

بسم الله الرحمن الرحيم

الإمام الأعظم: أبو حنيفة النعمان

(٨٠-١٥٠هـ)

أساتذته:

يقول الإمام أبو حنيفة (رحمه الله):» كنت في معدن العلم والفقه، فجالست أهله، ولزمت فقيهًا من فقهائهم» وبهذا القول يعلن الإمام أنه قد استنَّ لنفسه سنة لزوم الشيخ الواحد. وذلك الانقطاع إلى شيخ واحد، سوف نلاحظه عند كل من الإمام مالك حيث انقطع إلى ابن هرمز، والإمام الشافعي إلى مالك، والإمام أحمد إلى الشافعي إلى أن غادر الشافعي العراق. وهذا الانقطاع إلى شيخ بعينه لا يعني الاستغناء عن السماع من مشايخ آخرين، أو الامتناع عن سؤالهم والتلقي عنهم، وإنما يكون الدارس مرتبطًا بالشيخ الذي يرى أنه أكثر علمًا، وأرحب صدرًا، وأنه بانقطاعه إليه تكون حصيلته منه أكثر من حصيلته فيما لو انقطع لغيره.

فأما الشيخ الذي انقطع الإمام إليه فهو حمّاد بن أبي سليمان؛ فقد صحبه ثماني عشرة سنة كاملة. وعن هذه الصحبة المباركة ينقل الإمام عن شيخه الذي رأى فيه قوة في الحفظ، وإقبالًا على الدرس، وامتيازًا على رفاقه: « لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة».

على أن أبا حنيفة لم يختر حمَّادًا شيخًا له وأستاذًا دون سبب ظاهر؛ فقد كانت الكوفة مليئة بالعلماء والشيوخ، وإنما اختاره لأن حمَّادًا كان حامل علم الصحابة الأولين ممن عرفوا بالعلم الغزير، وأخذوا عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وآله وسلم دستور العقيدة وأصول الشريعة، وهم: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، رضي الله عنهم أجمعين.

لقد أخذ أبو حنيفة العلم عن حمَّاد، وأخذ حمَّاد عن إبراهيم النخعي الذي كان من كبار التابعين، وكان فقيه العراق، ومحدِّث الكوفة، اتصف بالورع والتقوى، وعرف بالزهد والعبادة، مات سنة ست وتسعين هجرية في الخمسين من عمره. ولما دفن، قال الشعبي: «دفنتم خير الناس». فسأل سائل: «ومن، الحسن؟» يعنون الحسن البصري. قال: «أفقه من الحسن، ومن أهل البصرة، ومن أهل الكوفة، وأهل الشام، وأهل الحجاز». وقد كانت للنخعي مكانته عند سعيد بن جبير الذي كان يقول: «تستفتوني وفيكم إبراهيم النخعي». وكان إبراهيم لفرط تواضعه لا يتكلم حتى يسأل، وكان يقول إذا سئل فأجاب: «لقد تكلمت ، ولو وجدت بدًا ما تكلمت، وإن زمانًا أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء». وكان لإبراهيم النخعي آراء في الفقه تجعله قريبًا من أن يكون صاحب مذهب. وكان إبراهيم، بالرغم من أنه كان أعور وزاهدًا، ذا مهابة بحيث يقول عنه سفيان بن مغيرة: «كنا نهاب إبراهيم النخعي مهابة الأمير». وكان

إبراهيم يدخل على عائشة وهو صغير حين كان يرافقهم إلى الحج.

كذلك أخذ حمَّاد بن سليمان شيخ أبو حنيفة العلم عن عامر الشعبي الذي كان صديقًا حميمًا لإبراهيم النخعي، وكانا توأمي علم ويذكران معًا، وكان من أئمة فقهاء المسلمين بالكوفة وغير الكوفة، وقد أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ، أخذ من علمهم واستمع إلى أقوالهم، وكان صاحب حلقة كبيرة بالكوفة، يقول محمد ابن سيرين: قدمت الكوفة، وللشعبي حلقة عظيمة وأصحاب رسول الله يومئذ كثير. وكان ابن شهاب الزهري يقول: العلماء أربعة: ابن المسيِّب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والبصري بالبصرة، ومكحول بالشام.

وكان العالم الثالث الذي أخذ عنه حمَّاد بن سليمان شيخ أبو حنيفة سعيد بن جبير، وهو الذي قتله الحجاَّج سنة خمس وتسعين، عن عمر مقداره خمسين سنة، وعلى كثرة ماقتل الحجَّاج من أئمة العلم، فإن جسم الأمة الإسلامية لم يتوجع كما توجع لقتل سعيد بن جبير. كان سعيد بن جبير أحد أعلام التابعين، وكان عالـمًا قارئًا فقيهًا، يؤم المسلمين في رمضان؛ فيقرأ ليلة بقراءة عبد الله بن مسعود، وليلة بقراءة زيد بن ثابت، وليلة بقراءة غيرهما من القرَّاء. وقد تميَّز سعيد بن جبير على كثير من التابعين في زمانه بمجمل العلوم الدينية، فقد قيل إن أعلم التابعين بالطلاق سعيد بن المسيِّب، وبالحج عطاء بن أبي رباح، وبالحلال والحرام طاووس، وبالتفسير مجاهد بن جبر، وأجمعهم لذلك كله سعيد بن جبير. وقال الإمام أحمد بن حنبل: قتل الحجَّاج سعيد بن جبير، وما على وجه الأرض إلا وهو مفتقر إلى علمه.

أما حمَّاد بن سليمان الذي أخذ عنهم، فقد كان من أهم شيوخ أبو حنيفة، لازمه وجلس إليه أطول مجلس، متفرغًا له مقبلًا عليه. وكان شيخًا لأكثر من إمام وفقيه، منهم سفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج، الفقيه، المحدث، الراوية، الأديب الذي قال عنه الإمام الشافعي: لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق. وكان اتجاهه الفقهي يتجه نحو فقه الصحابيين الجليلين علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما.

أما الشيوخ الآخرين الذين أخذ عنهم أبو حنيفة **فمنهم كوفيون**، ومنهم: محارب بن دثار، وسماك بن حرب الذي أدرك ثمانين صحابيًا أخذ عن أكثرهم، وروى عن بعضهم، كما أخذ عن كبار التابعين. كما كان منهم عبد الكريم أبو أمية، وعطية بن سعد بن جنادة الذي روى عن بعض الصحابة... وكان من هؤلاء من وصف بغزارة العلم بالحديث والفقه والشعر وأيام الناس والقضاء، ويتصف بالأمانة والصدق والثقة وكثرة العبادة والزهد، حتى والفروسية... **ومنهم شيوخ غير كوفيين**، ومنهم الصحابي الجليل أنس بن مالك الذي كان آخر من توفي من صحابة رسول الله وفي البصرة، ومنهم التابعي هشام بن عروة بن الزبير، وهو ابن أخ الصحابي عبد الله بن الزبير، وقد رأى

الصحابيين عبد الله بن عمر وأنس بن مالك. والتابعي عطاء بن أبي رباح الذي كان مفتي مكة وفقيهها، وهو كان قد أخذ من كثير من الصحابة، وقد ذكر أنه رأى مائتين من الصحابة. ومنهم نافع مولى عبد الله بن عمر الذي سمع عن عدد من الصحابة، وقد بعث به عمر بن عبد العزيز إلى مصر ليعلم المصريين السنن. وأهل الحديث يقولون: رواية الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لجلالة كل واحد منهم... ومنهم شيوخ من أهل البيت، فقد كان أبو حنيفة محبًا لأهل البيت، موقرًا لهم، مقبلًا عليهم، معترفًا بفضلهم، يأخذ عنهم العلم. لقد لقي أبو حنيفة محمدًا الباقر ، وأخاه زيدًا، وهما ابنا زين العابدين علي بن الحسين، وكلاهما أكبر من أبي حنيفة فأخذ عنهما، وبخاصة عن زيد، علمًا كثيرًا.

أما محمد الباقر، فقد كان عالمًا سيدًا جليلًا متصفًا بأخلاق بيت النبوة من سماحة وعلم ووقار، وقد لقب بالباقر لأنه تبقَّر في العلم، أي توسع فيه، وهو سليل لبيت النبوة أبًا وأمًا، وكان من طبقة العلماء التابعين، فقد روى عن أبيه وجديه الحسن والحسين وعمه، وأبي هريرة، ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو، وغيرهم، وقد روى عنه من العلماء الأفاضل ولده جعفر الصادق، ومحمد بن شهاب الزهري، وعمرو بن دينار وغيرهم. وكان الإمام محمد الباقر شديد التوبيخ لمن يتعرض للخلفاء الراشدين بالسوء.

وأما زيد بن علي زين العابدين من أهل بيت أهل النبوة، ممن أخذ عنهم أبو حنيفة، وهو أخو محمد الباقر، فقد كان غزير العلم، وافر الحديث، فارسًا مقدامًا ذا شمائل وصاحب زهد؛ حتى إن ابن أخيه جعفر الصادق قال فيه: يرحم الله عمي، كان والله سيدًا، والله ما ترك فينا لدنيا ولا آخرة مثله. وزيد هو إمام المذهب الذي يحمل اسمه. وقد حاز الإمام زيد فقه السنة بروايته عن أبان بن عثمان وابن شهاب الزهري وعروة بن الزبير وشعبة بن الحجاج وغيرهم. وحاز فقه الشيعة بروايته عن أبيه زين العابدين، وعن أخيه محمد الباقر الذي كان يكبر زيدًا ببضعة عشر عامًا. ومذهب الإمام زيد يعترف بخلافة أبي بكر وعمر، وكان يفضل عليًا عليهما، ولكن مذهبه يجيز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، وكان يرى أن الخلافة قد فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رآها الصحابة ولقاعدة دينية راعَوها. وكان زيد أستاذًا لأبي حنيفة إبان إقامته في الحجاز، وقد وصف أبو حنيفة زيدًا بقوله: «شاهدت زيد بن علي، كما شاهدت أهله، فما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أعلم ولا أسرع جوابًا، ولا أبين قولًا، لقد كان منقطع القرين».

أما عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فقد كان من شيوخ أبي حنيفة، كان عالمًا جليلًا ذا شرف وهيبة، وكان محدثًا صدوقًا، قال عنه مصعب بن عبد الله: ما رأيت أحدًا من علمائنا يكرمون أحدًا مثلما يكرمون

عبد الله بن حسن بن حسن. وقد روى عن أبيه وأمه وابن عم جده عبد الله بن جعفر بن أبي طالب والأعرج وعكرمة. أما من روى عنه فكثيرون منهم بعض الأئمة مثل مالك وسفيان الثوري، وكان ذا مكانة ومنزلة عند الخليفة عمر بن عبد العزيز.

الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر، وقد لقب بالصادق لصدقه وفضله.

وقد ذهب أكثر مؤرخي أبي حنيفة إلى أنه حج خمسًا وخمسين حجة، هذا فضلًا عن إقامته المتصلة بمكة بين سنتي مائة وثلاثين ومائة وست وثلاثين.

حلقة أبي حنيفة:

لم يجلس أبا حنيفة في حلقة مستقلة به إلا بعد وفاة أستاذه حمَّاد بن أبي سليمان سنة ١٢٠هـ، وهو قد حاول ذات مرة أن يترك حلقة أستاذه، ويصنع لنفسه حلقة منفردة، ولكنه ما إن دخل المسجد، ووقع نظره على أستاذه حتى شعر بخجل شديد، وأخذ مكانه بين يدي أستاذه الذي دعت الضرورة إلى أن يسافر في اليوم نفسه إلى البصرة بلدته لتسلم ميراث استحقه؛ فأناب أبا حنيفة ليكون رأس الحلقة وأستاذها. وغاب حمَّاد شهرين، ثم عاد إلى الكوفة، فإذا بتلميذه يعرض عليه ما قد سئل عنه من مسائل كان قد سجَّل إجاباته عنها جميعًا؛ فيقره الأستاذ على صحة أربعين، ويخطئه في عشرين. فيحس أبو حنيفة في داخل نفسه بغير قليل من الندم لأن نفسه قد نازعته إلى الانفراد بحلقة وحده، ولمَّا يستكمل بعد كل أسباب النضوج الفكري.

١- حلقات مسجد الكوفة:

كانت الكوفة معدن العلم، حسب تعبير أبي حنيفة، وكان مسجدها الأعظم قد حفل بحلقات الفقهاء الأعلام، كحلقة الأعمش سليمان بن مهران الذي كان مشهورًا بالفصاحة والزهد، وحلقة مسعر بن كدام الذي كان يقال عنه «المصحف» لحفظه، وحلقة سفيان الثوري... إلا أن حلقة أبي حنيفة كانت أكبرها وأكثرها امتلاء بالمستمعين، خاصة وأن كلًا من مسعر وسفيان قد غادر إلى مكة، وانتقلت معه حلقته. ولم تكن هذه الحلقات قاصرة على الفقه والحديث، وإنما كانت هناك حلقات القراءات كحلقة حمزة بن حبيب القارئ الذي انعقد إجماع على تلقي قراءته بالقبول، والذي قال عنه سفيان الثوري إنه ما قرأ حرفًا من كتاب الله إلا بأثر. وكانت هناك حلقة شعبة بن عياش بن سالم الأزدي وهو من مشاهير القرَّاء. هذا وقد سبقت حلقتي حمزة وشعبة حلقةُ عاصم صاحب القراءة المشهورة، وهو شيخ أبو حنيفة في القراءة... ومع هذه الحلقات جميعًا في مسجد الكوفة كانت حلقة أبي حنيفة متميزة يتدفق منها العلم. وكان أبو حنيفة إذا ما قصد إلى أداء فريضة الحج، وقد أداها خمسًا وخمسين مرة، انتقلت حلقته إلى المسجد الحرام تسبقها شهرته، وكذلك الحال إذا انتقل إلى المدينة للزيارة... والتقى الإمام مالك وتناقشا في قضايا الدين ومسائل الفقهاء، وغالبًا ما كانا

ينتهيان إلى رأي واحد... وكانت صورة أبي حنيفة في أذهان العلماء أنه يملك ثلاثة أرباع العلم، وكان يضع الأسئلة ويجيب عنها، وقد وصفه العالم الإمام الفقيه الزاهد فضيل بن عياض فقال: «كان أبو حنيفة معروفًا بالفقه، مشهورًا بالورع، واسع المال، معروفًا بالأفضال على كل من يطيف به». وقال عنه أيضًا: «كان صبورًا على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل، كثير الصمت، قليل الكلام، حتى ترد مسألة في حلال أو حرام؛ فكان يحسن أن يدل على الحق، هاربًا من مال السلطان». وعنه قال أيضًا إمام معاصر له، هو عبد الله بن المبارك، وهو يصف حلقة من حلقاته ضمت مسعر بن كدام: «رأيت مسعرًا في حلقة أبي حنيفة جالسًا بين يديه، يسأله ويستفيد منه، وما رأيت أحدًا تكلم في الفقه أحسن من أبي حنيفة». بل إن مسعرًا يصف هذه الحلقة فيقول: «كانوا يتفرقون في حوائجهم بعد الغداة، ثم يجتمعون إليه- أي إلى الإمام أبي حنيفة- فيجلس لهم، فمن سائل، ومن مناظر، ويرفعون الأصوات لكثرة ما يحتج لهم»، ويستطرد مسعر فيقول: إن رجلًا يُسكن الله به هذه الأصوات لعظيم الشأن».

كانت حلقة أبي حنيفة كمجمع بحث علمي يفتح فيها باب المناقشة ويستمر البحث في المسألة أو القضية الواحدة أيامًا وليالي، وإذا ما انتهى الإمام الأستاذ إلى رأي ارتضاه فيها قال لتلميذه أبي يوسف: ضعها في الباب الفلاني.

والإمام أبو حنيفة عالم متفتح، لا يسمح بكتابة رأيه إلا إذا كان مطمئنًا إلى كامل صوابها، وكان متأدبًا بآداب الفاروق عمر، رضي الله عنه، فقد كانت وصية سيدنا عمر لأبي موسى الأشعري في القضاء ألا يتمسك بحكم أصدره ثم تبين بعد ذلك أنه خاطئ، وكذلك يفعل أبو حنيفة إذا أصدر رأيًا في مسألة ثم اتضح له أنه ليس صوابًا.

وقد كان أبو حنيفة يحذر من أن يكون العلم للدنيا فيقول: «من تعلم العلم للدنيا حرم بركته، ولم يرسخ في قلبه. ومن تعلمه للدين بورك له في علمه، ورسخ في قلبه، وانتفع المقتبسون منه». وكان أبو حنيفة واسع المال، وله تجارة رابحة، وكان ينفق على تلاميذه؛ بحيث يحصلون على راتب شهري يستعينون به على أعباء الحياة، وهو ما يشبه ما يسمى اليوم بـ «المنح الدراسية». وهذه الفعال ورثها الإمام من أستاذه حمَّاد، وحمَّاد ورثها من أستاذه إبراهيم النخعي. وكان أبو يوسف يقول: «كان أبو حنيفة يعولني وعيالي عشرين سنة، وإذا قلت له: ما رأيت أجود منك! يقول: كيف لو رأيت حمَّادًا. وكان يقول: «ما صليت صلاة منذ مات حمَّاد إلا استغفرت له مع والديَّ، وإني لأستغفر لمن تعلمت عليه علمًا، ومن علَّمته علمًا». وكان ينصح أبا يوسف، بعد أن توسم فيه النجابة، ولمس في شخصه الطموح: «كن من السلطان كما أنت من النار، تنتفع بها وتتباعد عنها، ولا تدنُ منها؛ فإنك تحترق وتتأذى منها؛ فإن السلطان لا يرى لأحد ما يرى لنفسه» ■

صحيفة "الرياض" السعودية الحكومية... تساوي بين الأسد والمعارضة

أثارت صحيفة "الرياض" السعودية، المحسوبة على الحكومة، جدلًا واسعًا، بعد نشرها كاريكاتورًا يساوي بين النظام السوري الذي كانت تعتبره فاقدًا للشرعية وبين المعارضة، ويَظهر في الكاريكاتور دبابتان تقصفان المدنيين، كُتب على واحدة "النظام السوري"، وعلى الأخرى "الجيش الحر". وهذا يكشف عن قرار الرياض بتحول موقفها من الصراع في سوريا لمصلحة الموقف الأميركي بشكل علني؛ وذلك بإعطاء الشرعية لنظام الأسد وتشويه صورة المعارضة. ومن غير تفريق بين "الضحية والجلاد" في الشأن السوري. وهذا لا يمكن تفسيره إلا بموقف جديد للسعودية تجاه النظام.

الوعي: آل سعود عليهم ألف علامة استفهام منذ أنشؤوا دولتهم وحتى اليوم، فهم تآمروا على هدم دولة الخلافة لمصلحة الإنكليز، وهم اليوم وصلوا إلى مرحلة أنهم يريدون الصلح مع يهود. وجعل دولتهم منفتحة على شرور الغرب، ومحاربة الإسلام معهم بحجة محاربة الإرهاب... لقد وصلوا إلى مرحلة الجهر بالسوء.

تسجيلات تكشف أرقامًا "صادمة" عن القتلى الروس في سوريا خلال أسبوع

ما زال الغموض يكتنف الغارات التي قام التحالف الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية بتنفيذها، في ٢٠١٨/٢/٧م، على رتل مؤلف من ميليشيات إيرانية وروسية وصفهم الجيش الأميركي بـ "القوات الموالية" لنظام الأسد، ولكن مواقع روسية بدأت بالكشف عن تفاصيل مثيرة بخصوص هذه الهجمات وأعداد القتلى الروس، معتمدة بمعلوماتها على مواقع التواصل الاجتماعي الروسية وما ينشره المقاتلون الروس في حساباتهم، علماً أن شبكة "CBS" الأميركية نقلت عن مسؤول في وزارة الدفاع الأميركية، في الثامن من شباط، تأكيده وجود مرتزقة روس في الرتل الذي هاجمته الطائرات الأميركية، ونقلت وكالة أسوشيتد برس عن وسائل إعلام روسية أن الخسائر الإجمالية يمكن أن تصل إلى مئتي قتيل، وأنه من الممكن أن يشكل الروس الجزء الأكبر منهم.

هذا ولا يمكن التأكد من العدد الحقيقي لأن موسكو دأبت على إخفاء عدد قتلاها. وأكد موقع "مركز الدفاع" الروسي المهتم بالشؤون العسكرية، أن ميليشيات "واغنر" التي تقاتل في سوريا بجانب "نظام الأسد" وبدعمٍ من موسكو تلقت أكبر ضربة، الأسبوع الماضي. وأفاد الموقع

في تقريرٍ له، بمقتل ٢١٥ مرتزقًا من هذه الميليشيات الأسبوع الماضي في غارة للتحالف الدولي الذي تقوده الولايات المتحدة، واستند "مركز الدفاع" على تسجيلات عبر تطبيق الـ"واتس أب" لشهادات مرتزقة روس يتبعون لشركة "واغنر" ويشاركون بالحرب الروسية على سوريا.

ونقل الموقع شهادة أحد المرتزقة الروس في سوريا التي نشرها على موقع التواصل الاجتماعي الروسي "VK"، إلى أن "هذه القوة الروسية ضمت بعض المقاتلين من القوات الخاصة الروسية بالإضافة لمرتزقة شركة (واغنر) وكانت مزودة بالمدفعية والدبابات".

الوعي: ميليشيات الروسية "واغنر" هذه شبيهة بميليشيات "بلاك ووتر" الأميركية التي استعملتها في العراق، وكان لها إجرامها الموصوف، وكانت تابعة لوزارة الدفاع الأميركية في كل مهماتها، وكانت أميركا تتنصل من إجرامهم بحجة أنهم غير تابعين لها. وروسيا الآن تقوم بالأمر نفسه. وتدعي أنها لا علم لها بوجودهم؛ لذلك عندما أبلغتها أميركا عن نيتها ضرب قافلة ما يسمى بـ"الحشد الشعبي السوري" الذي ضربته أميركا، تنصلت من وجود جنود روس في القافلة، ولما ضربته أميركا، وكانت ضربة مؤلمة جداً، لم تستطع روسيا أن تتبنى قتلاها، بل حاولت التقليل من الأمر، ولكن الأمر انتشر، وأدى إلى إحراج روسيا، فاضطرت إلى الاعتراف بعدد قليل من القتلى.

ماكرون: لم نتأكد من استخدام الأسلحة الكيميائية بسوريا

هدد الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون بتوجيه ضربات إذا استخدمت الأسلحة الكيميائية ضد المدنيين في الصراع السوري، لكنه أوضح أنه لم يرَ أي أدلة على ذلك. وقال ماكرون للصحفيين: "سنضرب المكان الذي خرجت منه هذه الأسلحة أو حيث تم التخطيط لها، مشيرًا إلى أنه وضع خطًا أحمر في ما يتعلق بالأسلحة الكيميائية. اليوم لم تؤكد وكالاتنا ولا قواتنا المسلحة أنه تم استخدام الأسلحة الكيميائية ضد السكان المدنيين على النحو المبين في المعاهدات". وتابع الرئيس الفرنسي: "فور توفر الدليل سأقوم بما أعلنته". مع تأكيده بأن "الأولوية تبقى لمكافحة الإرهابيين والجهاديين".

يذكر أنه منذ ١٣ يناير/ كانون الثاني الماضي سُجّلت ثلاث حالات قصف استخدم فيها نظام الأسد مادة الكلور في الغوطة وفي محافظة إدلب، وهو ما أكده وزير الخارجية الفرنسية، دان إيف لودريان. في حين أن وزيرة الدفاع، فلورنس بارلي، حكمت بعدم وجود "يقين" بهذا الشأن.

الوعي: ما بين تأكيد وزير الخارجية الفرنسي، وعدم وجود يقين لدى وزير الدفاع، يأتي تهديد كاميرون ليكشف النفاق الفرنسي، ولإظهار أن فرنسا هي دولة ذات قرار فاعل على المسرح الدولي... انتفاش فارغ.

تطور الصراع في سوريا وتحوله من سوري إلى إقليمي إلى دولي

شهد شهر شباط من هذا العام تطورًا في الصراع العسكري الدائر على أرض سوريا؛ حيث ظهر تورط الأطراف الدوليون فيه، والذين يبحث كل طرف منهم عن منطقة نفوذ سياسي له على الأرض. وعن مكاسب اقتصادية تعتبر هي الدافع الخفي الذي يقف وراء هذه التدخلات. وقد ظهر الخلاف واضحًا بين أميركا وروسيا في آخر شهر كانون الثاني/يناير في مؤتمر سوتشي الذي أرادت منه روسيا أن تفرض نفسها فيه على أنها راعية الحل في سوريا، فأفشلته أميركا الحريصة على أن تكون هي راعية الحل الوحيدة في جنيف، وتبع هذا المشهد السياسي أكثر من مشهد عسكري آخر يعتبر تابعًا له،

البداية كانت في ٢٠١٨/٢/٣م عبر إسقاط مقاتلين من المعارضة المسلحة طائرة روسية مقاتلة من طراز "سوخوي ٢٥" التي تعرف بـ"الدبابة الطائرة" من خلال صاروخ محمول على الكتف، وقالت مصادر روسية في وقت لاحق إن الصاروخ كان أميركيًا. في المقابل، نفى مسؤول في "البنتاغون "أن تكون الولايات المتحدة خلف إسقاط الطائرة، وأنكر أنهم زودوا حلفاءهم في سوريا بصواريخ أرض جو..."

في ٢/١٠/ ٢٠١٨م، أي بعد أسبوع تم إسقاط طائرة (إسرائيلية) من طراز "إف ١٦"، والروس بدورهم نفوا علاقتهم بإسقاطها...

وبين هذين التاريخين، أي في ٢٠١٨/٢/٧م، قام التحالف الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية بشن غارات على رتل مؤلف من ميليشيات إيرانية وروسية كانت متجهة إلى دير الزور، وصفهم الجيش الأميركي بـ "القوات الموالية" لنظام الأسد،، وأوردت مواقع روسية عدة تقديرات أنها أودت بحوالى مئتي قتيل من الجنود الروس والمرتزقة التابعة للميليشيات الأمنية الروسية "واغنر"...

وفي ٢٠١٨/٢/١٠م، أسقطت وحدات حماية الشعب الكردية، مروحية حربية تركية من نوع "كوبرا ت١٢٩" في ريف عفرين شمال غربي سوريا. في إطار عملية "غصن الزيتون". التي أطلقها أردوغان في الشهر الماضي ضد الجماعات الكردية، والتي تصنفهم "إرهابيين"..

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل دخل الصراع في سوريا مرحلة استعمال تقنية إسقاط الطائرات، وهذا ينذر بدخول الصراع مرحلة جديدة قاسية بالنسبة إلى روسيا، ستكون شبيهة

بما حدث في أفغانستان؛ حيث استغلت أميركا تورط الاتحاد السوفياتي، وزودت الثوار هناك بصواريخ ستينغر المضادة للطائرات في هذا البلد؛ ما أدى إلى هزيمته وانفراطه فيما بعد. وجعل أفغانستان كنظام تابعة لها من دون شعبها.

الوعي: هذا الصراع، إن صدق القول، سيكون شديدًا على أهل المنطقة؛ لأنهم سيكونون هم الوقود والضحية، وبلادهم محل تدمير يستفيد منه الغرب بتجارة بيع السلاح، ومحل إعمار تستفيد منه شركاته وبالتالي دوله، على حساب تنمية دول المنطقة.

إن ما يحدث في سوريا لا حل حقيقيًا له يكون لمصلحة المسلمين إلا بإقامة دولة الخلافة فيها أو في غيرها؛ لأن المسلمين أمة واحدة وبلادهم بلاد واحدة. إذ إن دولة الخلافة الجامعة هي وحدها التي تستطيع أن تواجه هذه الحملة العالمية الشرسة بالمسلمين جميعًا. وسيكون أهم عمل يساعد دولة الخلافة هذه على النجاح في مواجهة الغرب هو حرمان دول الغرب من حكام عملاء له، ومن جيوش تأتمر بأوامر ضباط عملاء، وتكون إمكاناتها كلها ذاتية.

مسؤولة سابقة: نائب ترمب يزعم أنه يتواصل مع النبي عيسى

ذكر موقع "إيلاف" الإلكتروني أن أوماروسا نيومان المستشارة السابقة في البيت الأبيض، حذرت الأميركيين من نائب الرئيس مايك بنس "فهو متطرف، ويعتقد أنه يتواصل مع (النبي) عيسى، ويتحدث بالنيابة عنه". وقالت نيومان التي غادرت منصبها في العشرين من يناير الماضي في برنامج بُث الاثنين عبر قناة سي بي أس: "لو تولى بنس رئاسة البلاد (في حال عزل الرئيس الحالي)، ستتوسلون إلى ترمب ليعود". ويأتي حديث بطلة برامج الواقع، رغم هجومها الشرس على ترمب، بعدما أبدت ندمها الشديد أنها صوتت له. وأضافت: "أنا مسيحية وأؤمن بعيسى، لكن المسيحيين المحافظين متطرفون جداً ومخيفون". وذكرت أن ترمب "مهووس بالاستطلاعات، ولديه خطط عدوانية، يرغب بتنفيذها في سبيل أن يزيد شعبيته". وكانت مغادرةُ نيومان منصبها، وهي من الأفارقة الأميركيين، أحدثت جدلاً واسعًا في البلاد، بإعتبار أنها تكاد الوحيدة من الأقليات التي كانت تتولى منصبًا رفيعًا في البيت الأبيض، الذي يتهم رئيسه وإدارته بالتمييز ضد الأميركيين من غير البيض

وجاء حديث المسؤولة السابقة، على وقع دخول التحقيقات التي يجريها المدعي الخاص روبرت مولر وأجهزة مختلفة في وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدرالي ومجلسي الشيوخ النواب، بشأن تواطؤ محتمل بين ترمب وحملته مع روسيا إلى مرحلة خطيرة.

قال الله تعالى

﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَـٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ٢٢٩ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه عطاء بن خليل أبو الرشته أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

لكن الله سبحانه استثنى حالة يجوز للرجل أن يأخذ من زوجته، وهي الحالة التي تسمى (الخُلْع) وهي أن تبغض الزوجة زوجها وتنفر من العيش معه عيش الأزواج، ويكون سبب ذلك منها وليس من زوجها، ففي هذه الحالة يباح لها أن تفتدي مخالعتها من زوجها بأن تعيد له ما دفعه من مهر دون زيادة، وتختلع منه بإذن الإمام أو من ينيبه، ويفسخ عقد زواجها منه، وتَبين منه حال المخالعة؛ فلا يملك الزوج بعد ذلك مراجعتها، بل له الزواج منها من جديد بعقد ومهر جديدين.

أما لماذا قلنا إن (الخلع) يكون بسبب من الزوجة؛ فذلك من الكتاب والسنة. أما من الكتاب، فإن الطلاق بيد الرجل، فإذا كره زوجته أو لم يرد صحبتها فبإمكانه طلاقها، وقد حرم الله عليه أن يضارَّ زوجته لتعفيه من بعض حقوقها حتى يطلقها، بل إن شاء أمسكها بمعروف أو سرحها بمعروف، دون أن يضارها ليأخذ شيئًا مما آتاها، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ﴾ أي إن كنتم لا تريدونهن زوجات وأردتم طلاقهن فطلقوهن بمعروف، دون أن تظهروا تمسككم بهن وأنتم لا تريدونهن من

أجل أن تعتدوا على حقوقهن فتأكلوها فتعفيكم المرأة من بعض حقوقها كي تطلقوهن.

ولذلك فإن كان السبب من الرجل وهو لا يريدها فليطلقها دون أن يأخذ منها شيئًا، وسنفصل هذه الآية بعد قليل إن شاء الله.

فحيث إنَّ الطلاق بيد الرجل، فإنه إن لم يرد زوجته يطلقها بالمعروف، وبالتالي يكون الخلع - أي افتداء المرأة من زوجها - في حالة إذا كانت هي التي لا تريد زوجها وهو يريدها.

أما السنة فإن سبب نزول الآية أن المرأة هي التي لم ترد زوجها.

روى ابن ماجة بإسناد جيد عن ابن عباس: «**أن جميلة بنت سلول أتت النبي ﷺ فقالت: والله ما أعتب على ثابت بن قيس في دين ولا خلق، ولكني أكره الكفر في الإسلام لا أطيقه بغضًا. فقال لها النبي ﷺ: تردين عليه حديقته؟ قالت: نعم. فأمره النبي ﷺ أن يأخذ بستانه ولا يزداد**» (ابن ماجه).

وروى ابن جرير عن ابن عباس: «**إن أول خلع كان في الإسلام في أخت عبد الله بن أُبي، امرأة ثابت بن قيس، أتت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله لا يجمع رأسي ورأسه شيء أبدًا، إني رفعت جانب الخباء فرأيته قد أقبل في جماعة، فإذا هو أشدهم سوادًا، وأقصرهم قامة، وأقبحهم وجهًا. فقال زوجها: يا رسول الله إني أعطيتها أفضل مالي حديقة لي، فإن ردت عليّ حديقتي. قال: ما تقولين؟ قالت: نعم، وإن شاء زدته. قال: ففرَّقَ بينهما**» (أحمد، الدر المنثور، تفسير الطبري).

وروى نحوه الإمام أحمد من طريق عبد الله بن عمرو، ومن طريق سهل بن أبي حثمة.

ولذلك فإن المرأة إن لم ترد زوجها لبغضها له وعدم إمكانها العيش معه في الوقت الذي هو يريدها فيه فله أن يقبل أن تردّ المهر الذي أعطاه لها وتختلع منه.

فإن قيل إن الله سبحانه يقول: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ فلماذا أسند لهما الخوف من عدم إقامة حدود الشرع في حياتهما الزوجية ولم يُسنِدْ للزوجة فقط؟ والجواب إن بغض الزوجة للزوج ونفورها منه وعدم طاعتها له سيؤثر في الزوج، وبالتالي يُخشى من كليهما عدم إقامة حدود الله. وقوله سبحانه ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ ﴾ أي إلا أن يتوقعا ويكون المعنى: إلا أن تبغض المرأة زوجها ولا تريده ونتيجة ذلك يتوقع الزوجان أن لا يستطيعا إقامة حدود الله في حياتهما الزوجية، وبذلك فلا تعارض بين قوله سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ وبين أن يكون عدم إرادة العيش مع الزوج آتيًا من قبل الزوجة.

إلا أن هذه الإباحة في طلب الزوجة المخالعة من زوجها عندما يكون هناك سبب تبغض فيه زوجها وتنفر منه، ويترتب عليه خوف الزوجين من عدم تمكنهما إقامة حدود الله في حياتهما الزوجية.

غير أنه يحرم على المرأة أن تطلب المخالعة من زوجها بدون سبب لديها يخشى معه أن لا يقيما حدود الله ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ وهذا ما بينه حديث رسول الله ﷺ: «**إن المختلعات المنتزعات هن المنافقات**» (النسائي، الدر المنثور، تفسير الطبري) الذي يرويه عقبة بن عامر الجهني. وفي رواية أخرى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ: «**المختلعات هن المنافقات**» (الترمذي، تفسير الطبري) أي اللاتي يطلبن الخلع من أزواجهن بدون سبب لديهن يتوقع معه عدم القيام بحدود الله في الحياة ؛ وذلك جمعًا بين أدلة إباحة الخلع في الحالة التي ذكرناها أولًا وأدلة تحريم طلب الزوجة الخلع من زوجها المذكورة في الحديثين الأخيرين.

أما لماذا قلنا يباح له ولها المخالعة في هذه الحالة؛ فلأن المخالعة ليست فرضًا، فالله سبحانه يقول: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي يباح لهما ذلك، فإن افتدت وأعادت المهر لا شيء عليها، وكذلك قبوله للمهر المدفوع وتخلية سبيلها، لا شيء عليه به.

والأمر الآخر أن الزوج ما دام يؤدي حقوق زوجته، فلو نشزت هي فلم تطعه ولم ترد العيش معه، فالله سبحانه فرض عليه في هذه الحالة ﴿فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ ولم يفرض عليه غير ذلك كأن يطلقها أو يخالعها.

وأما لماذا قلنا إنه لا يصح أن يأخذ منها أكثر مما دفع؛ فلأن الرسول ﷺ يقول في حديث ابن عباس الذي رواه ابن ماجة السابق: «**فأمره النبي ﷺ أن يأخذ بستانه ولا يزداد**» (ابن ماجه) وفي حديث أبي الزبير الذي أخرجه الدارقطني: «**قال النبي ﷺ إلى امرأة ثابت بن قيس: أتردين عليه حديقته التي أعطاك؟ قالت: نعم، وزيادة. فقال النبي ﷺ: أما الزيادة فلا**» (ابن ماجه، الدر المنثور) وكلّ ذلك يدلّ على أن له أن يأخذ مهره الذي دفع دون زيادة.

ولا يقال إن الآية ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ تفيد العموم من لفظ ﴿مَا﴾ وبالتالي يجوز له أن يأخذ أكثر من المهر الذي قدمه، لا يقال ذلك؛ لأنها وإن كانت من ألفاظ العموم إلا أنها خصصت بالأحاديث التي ذكرناها بأنه لا يصحّ له أن يأخذ أكثر من المهر المقدم لها.

وأما أن (الخلع) يتم بإذن من الإمام أو من ينيبه أي القاضي أو ما هو في حكمه؛ فلأن الله سبحانه يقول ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ أي إلا أن يتوقع الزوجان ألا يقيما حدود الله في حياتهما الزوجية، ولا يستطيعا تنفيذ الأحكام الشرعية المتعلقة بحياتهما الزوجية.

غير أن الله سبحانه لم يرتب جواز المخالعة على خوف الزوجين من عدم إقامة حدود الله، بل وضع شرطًا آخر وهو: فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما، أي أن الله سبحانه جعل المخالعة تتوقف على قناعة جهة أخرى بصحة توقع الزوجين عدم إقامتهما حدود الله، وواضح هذا

من تغيير صيغة الخطاب من التثنية إلى الجمع مما يدلّ أن تلك الجهة هي غير الزوجين.

والذي يملك صلاحية إنهاء الحياة الزوجية غير الزوج هو الإمام أو من ينيبه كالقاضي. ويؤيد ذلك حوادث المخالعة التي رويت في عهد رسول الله ﷺ والتي ذكرنا بعضها سابقًا، فقد كانت ترفع إلى رسول الله ﷺ ليفصل فيها. وقد كان رسول الله ﷺ رسولًا وحاكمًا في آن.

ولذلك فمن لم ترد زوجها لبغضها له، وخافت هي وزوجها في هذه الحالة أن لا يقيما حدود الله، أي أن لا يطيعا الله ورسوله في حياتهما الزوجية، يكون بذلك قد تحقق الشرط الأول ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ بعدها ترفع المرأة التي تريد مخالعة زوجها الأمر للحاكم أو القاضي، فيدرس الأمر ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ عندها يعرض عليها أن تعيد المهر الذي قدمه الزوج وتنخلع من زوجها.

وقد رويت حوادث كان الخلفاء الراشدون يستعملون أساليب توفر لهم قناعة بأن الزوجين لن يقيما حدود الله بعد أن تطلب الزوجة الخلع من زوجها.

روى ابن جرير أن عمر أتى بامرأة ناشز فأمر بها إلى بيت كثير الزبل (أي حبسها فيه) ثم دعا بها فقال: كيف وجدت؟ فقالت: ما وجدت راحة منذ كنت عنده إلا هذه الليلة التي كنت حبستني. فقال لزوجها: اخلعها ولو من قرطها.

أما أن الخلع فسخ وليس طلاقًا فللأسباب التالية:

أ. قوله سبحانه ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ﴾. وفي هذه الآية: طلقتان، ثم بعد ذلك مخالعة؛ ولكن الله سبحانه في الآية التالية قال: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ﴾ أي إن طلقها الثالثة فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجًا غيره.

وهذا يعني أن الخلع ليس طلاقًا وإلا لكان المذكور في الآية التالية ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ طلاقًا رابعًا وهو ليس كذلك.

ب. أخرج أبو داود من طريق عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَارَةَ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ عَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ سَهْلٍ الأَنْصَارِيَّةِ، أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، **وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الصُّبْحِ فَوَجَدَ حَبِيبَةَ بِنْتَ سَهْلٍ عِنْدَ بَابِهِ فِي الْغَلَسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذِهِ. فَقَالَتْ: أَنَا حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ. قَالَ: مَا شَأْنُكِ. قَالَتْ: لاَ أَنَا وَلاَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ لِزَوْجِهَا. فَلَمَّا جَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هَذِهِ حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ، وَذَكَرَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ، وَقَالَتْ حَبِيبَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ مَا أَعْطَانِي عِنْدِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: خُذْ مِنْهَا، فَأَخَذَ مِنْهَا،**

وَجَلَسَتْ هِيَ فِي أَهْلِهَا».

وقد أخرج هذا الحديث بلفظه، إلا من حروف بسيطة لا تغير المعنى، النسائي والإمام مالك.

وكذلك أخرج النسائي من طريق مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ الرُّبَيِّعَ بِنْتَ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ ثَابِتَ بْنَ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ فَكَسَرَ يَدَهَا وَهِيَ جَمِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ، فَأَتَى أَخُوهَا يَشْتَكِيهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى ثَابِتٍ فَقَالَ لَهُ: خُذِ الَّذِي لَهَا عَلَيْكَ وَخَلِّ سَبِيلَهَا. قَالَ: نَعَمْ. فَأَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ تَتَرَبَّصَ حَيْضَةً وَاحِدَةً فَتَلْحَقَ بِأَهْلِهَا.

وواضح من هذه الأحاديث أنه لم يُذكر الطلاق بل فقط الفرقة مثل (خلِّ سبيلها)، (تلحق بأهلها).

وأما ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - في حديثه الذي أخرجه البخاري والنسائي أن رسول الله ﷺ قال لثابت: «**اقبل الحديقة وطلقها تطليقة**» (البخاري، النسائي) وذلك عن امرأته، فإن رواية ابن عباس هذه مرجوحة؛ لأن رواية النسائي وأبي داود ومالك في الموطأ هي عن امرأة ثابت بن قيس من قولها هي، وفي آخره: "**وخلِّ سبيلها**"، «**تلحق بأهلها**»، «**وجلست في أهلها**» وليس "وطلقها تطليقة" ورواية صاحبة القصة أرجح من رواية غيرها كما هو معروف في الترجيح في الأصول، ولذلك فالخلع ليس طلاقًا.

ج. إن رسول الله ﷺ أمر المختلعة أن تتربص بحيضة وليس بثلاث، وهذا يعني أنه ليس طلاقًا.

وقد ورد ذلك في الحديث الذي رواه النسائي الذي ذكرناه سابقًا. وكذلك فيما رواه الترمذي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن امرأة ثابت بن قيس اختلعت من زوجها فأمرها النبي ﷺ «**أن تعتدَّ بحيضة**» (الترمذي، النسائي، أبو داود، ابن ماجه) وهذا يعني أنه ليس طلاقًا وإلا لاعتدت بثلاث حيضات. وما دام ليس طلاقًا بل هو فسخ؛ لذلك فلا يصحّ له مراجعتها بعد المخالعة سواء في العدة أم غيرها. وله أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين برضاها، وبالأحكام الشرعية المتعلقة بذلك.

ويختم الله سبحانه الآية بأن هذه حدود الله، ويجب الوقوف عندها والتزامها وعدم تجاوزها، فمن عصى الله وتعدَّ حدوده فهو من الظالمين الذين يستحقون العذاب الأليم ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ .

٣. يبين الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أن من طلق زوجته الطلقة الثالثة - أي تجاوز الحد المسموح له ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ - فقد بانت منه زوجته بينونة كبرى، بمعنى أنه لا يحلّ له أن يراجعها في عدتها، وكذلك لا يحل له أن يتزوجها بعقد ومهر جديدين، بل يحرم عليه ذلك إلا أن تتزوج زوجًا غيره، ثم إن طلقها الزوج الجديد جاز للأول أن يخطبها ويتزوجها بعقد ومهر؛ حيث تكون كأية امرأةٍ أجنبيةٍ عنه.

وهنا تبرز مسألة: هل إن البينونة الكبرى تقع بالطلاق الثلاث المتفرق مرة بعد مرة، أم إنها تقع بالطلاق الثلاث بكلمة واحدة؟

هذه المسألة مما اختلف فيها الفقهاء وأطالوا الخلاف، وبالتدقيق فيها أقول وبالله التوفيق:

إنه لا فرق بين أن يكون الطلاق ثلاثًا متفرقات أو مجتمعات، ويترتب الحكم (البينونة الكبرى) على الطلاق بلفظ الثلاث جملة أو مرة بعد مرة بعد مرة، والدليل على ذلك:

١. قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ إلى أن يقول سبحانه ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾. ووجه الاستدلال أن الله سبحانه قال: ﴿مَرَّتَانِ﴾ وطلقتان دون تقييد باجتماع أو تفرق، وكذلك ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي الثالثة، والفعل مثبت؛ فهو مطلق غير مقيد، أي: (فإن طلقها الثالثة) مجتمعة مع الطلقتين أو منفصلة عنهما.

فالآية تفيد البينونة الكبرى بالطلاق الثلاث، سواء أكان مجتمعًا أم متفرقًا.

ولا يقال إنه قد ورد تقييد للمرات بأن تكون متفرقة؛ فهي التي تفيد البينونة الكبرى، أما إن كانت مجتمعة بلفظ واحد؛ فإنه لا يترتب عليها بينونة كبرى، بل تعتبر طلقة واحدة، وذلك كما جاء في بعض أحاديث رسول الله ﷺ.

لا يقال ذلك لأن هذه الأحاديث كلها ضعيفة لا ترقى إلى الحسن أو الصحيح إلا حديثين رويا عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وهما لا يصلحان للتقييد ولا يعمل بهما كما نبينه الآن بإذن الله.

الحديثان هما:

الأول: حديث محمد بن إسحاق الذي يقول فيه: حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: طلق ركانة امرأته في مجلس واحد ثلاثًا فحزن عليها، فقال له رسول الله ﷺ: فإنها واحدة (أحمد). رواه الإمام أحمد في مسنده.

و**الثاني**: حديث طاووس أن أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم إنما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبي ﷺ وأبي بكر وثلاثًا من إمارة عمر؟ قال ابن عباس: نعم (مسلم).

ولم يروَ أي حديث صحيح أو حسن عن غير ابن عباس ينص على الثلاث جملة تعتبر واحدة، غير أن هذا الاعتبار مرجوح؛ لأن فتاوى ابن عباس الصحيحة الثابتة عنه تعتبر أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع ثلاثًا، وتترتب عليه بينونة كبرى. وأذكر فيما يلي عددًا من هذه الفتاوى:

١. روى عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل فقال إنه طلق امرأته ثلاثًا، قال: فسكت حتى ظننت أنه رادّها إليه ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الحُمُوقة ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس!! ... وإن الله قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ وإنك لم تتقِّ الله؛ فلم أجد لك مخرجًا، عصيت ربك وبانت منك امرأتك. وإنَّ الله قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ في قبل عدتهن، أي أن ابن عباس اعتبر الطلاق الثلاث معًا واقعًا وتترتب عليه بينونة كبرى.

٢. وروى مثله حميد الأعرج وغيره عن مجاهد عن ابن عباس.

٣. وروى شعبة عن عمرو بن مرة وأيوب وابن جريج جميعًا عن عكرمة بن خالد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

٤. وابن جريج عن عبدالحميد بن رافع عن عطاء عن ابن عباس.

٥. والأعمش عن مالك بن الحارث عن ابن عباس.

٦. وابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس.

كلهم قالوا في الطلاق الثلاث أن ابن عباس أوقعها ثلاثًا وقال: بانت منك امرأتك (أبو داود).

ولشهرة هذه الفتاوى وصحتها عن ابن عباس بإيقاع الطلاق بلفظ الثلاث، كل ذلك يجعل الحديث المروي عن ابن عباس أن الرسول ﷺ جعل الثلاث واحدة، يجعله مرجوحًا؛ لأن الصحابي إذا عمل بغير ما روي فإن روايته تكون مرجوحة، ويكون الراجح في المسألة مدلول الآية الكريمة باعتبار الطلاق الثلاث مفرقًا أو مجتمعًا يفيد وقوع البينونة الكبرى. وقد عمل بهذا كثير من الفقهاء وكثير من العلماء بأن الثلاث تقع ثلاثًا.

وقد قال البخاري في صحيحه (باب من جوز الطلاق الثلاث لقوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ وذكر حديث اللعان (عن سهل بن سعيد الساعدي،... قال سهل: فتلاعنا... فطلقها ثلاثًا، قبل أن يأمره رسول الله ﷺ، قال ابن شهاب فكانت تلك سنة الأولين (البخاري: الطلاق، الباب الرابع ٥٢٥٩).

وقد قال البيهقي تعليقًا على حديث طاووس عن ابن عباس الذي أخرجه مسلم ولم يخرجه البخاري، قال البيهقي: أظن البخاري تركه لمخالفته سائر الروايات عن ابن عباس (البيهقي)، وساق الروايات عنه وقد بيناها سابقًا.

والخلاصة أن الطلاق الثلاث جملةً أو متفرقًا واقع وتترتب عليه البينونة الكبرى، إلا أن هناك فرقًا بين الطلاق الثلاث المجتمع وبين الطلاق الثلاث المفرق، وهو أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس واحد منهيّ عنه نهيًا جازمًا أي أنه حرام، غير أنه واقع ثلاثًا كما بيَّنا، والمطلِّق به آثم؛ وذلك استدلالًا بحديث رسول الله ﷺ الذي يرويه محمود بن لبيد: "**أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فقام غضبان ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟! حتى قام رجل فقال: يا رسول الله ألا أقتله!**" (النسائي).

ومن الجدير ذكره أن القائلين بأن الطلاق الثلاث بلفظ واحد يقع واحدة لهم شبهة الاستدلال،

ولكن قولهم مرجوح، واعتبار هذا الطلاق واقعًا ثلاثًا هو الراجح.

﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ هذه تفسير لقوله سبحانه في الآية السابقة ﴿ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ فمعناه هنا كما بيَّناه سابقًا أي أن يطلقها الثالثة.

﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾ أي حتى تتزوج غيره ويجامعها، أي يتمّ الجماع في عقد صحيح.

أما (العقد) ففهم من ﴿ زَوۡجًا ﴾، وأما (الجماع) ففهم من ﴿ تَنكِحَ﴾ .

فإن قيل إن (النكاح) تأتي في الوطء وفي العقد، فكيف تعينت هنا في الوطء أي الجماع؟ إن قيل ذلك فإن أحاديث الرسول ﷺ في هذا الباب كثيرة، تبين أن المقصود هو الجماع في زواج صحيح، فلو تمّ عقد زواج بدون الجماع ثم طلقها الزوج الأخير؛ فإنها لا تحلّ لزوجها الأول بعقد الزواج هذا دون جماع.

أخرج البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «**جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله ﷺ فقالت: إني كنت عند رفاعة فطلقني طلاقي، فتزوجني عبدالرحمن بن الزبير وما معه إلا مثل هدبة الثوب. فتبسم النبي ﷺ فقال: أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك**» (البخاري ومسلم).

روى أحمد والنسائي وابن جرير عن ابن فر قال: «**سئل النبي ﷺ عن الرجل يطلق امرأته ثلاثًا فيتزوجها آخر فيغلق الباب ويرخي الستر ثم يطلقها قبل أن يدخل بها، هل تحل للأول؟ قال: حتى تذوق العسيلة**» (النسائي: ٣٣٦١، ابن ماجه: ١٩٢٣، الموطأ: ٩٧٥، أحمد: ٢٥/٢، تفسير الطبري: ٤٧٧/٢).

والمراد بالعسيلة لذة الجماع، أي لا بدّ من جماع؛ لما رواه الإمام أحمد والنسائي عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا إن العسيلة الجماع**» (أحمد).

ولذلك فإن طلقت الزوجة ثلاث تطليقات؛ فإنها لا تحل لهذا الزوج إلا أن تتزوج غيره ويجامعها الزوج الجديد، فإذا طلقها يجوز للزوج الأول أن يخطبها من جديد بعقد ومهر جديدين، وبالرضا والاختيار إن غلب على ظنهما أنهما سيقيمان حياة زوجية في حسن صحبة ومعاشرة.

﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ﴾ أي مباح لهما أن يتزوجا من جديد، إن كانا يتوقعان إقامة حياة زوجية كما حددها الله وشرعها.

﴿ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا﴾ أي إن توقعا، لأن ﴿ أن﴾ المصدرية هنا للتوقع.

ثم يختم الله سبحانه الآية ببيان أن هذه الأحكام هي حدود الله، يجب الوقوف عندها وعدم تجاوزها، وقد خصّ الله أولي العلم بذلك؛ لأنهم الذين يفقهون وينتفعون بهذا البيان ﴿ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ ■

تعظيم حديث رسول الله والتغليظ على من عارضه

«ألا، وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله»

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح حدثني الحسن بن جابر عن المقدام بن معدي كرب الكندي أن رسول الله ﷺ قال: «**يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل، ما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله**».

وهذا فيه تعظيم السنة، والعناية بها، ووجوب العمل بها، وفيه الرد على من أنكرها، وقول النبي ﷺ: «**يوشك الرجل متكئاً على أريكته**»، أي: على سريره أو مكانه، وفي اللفظ الآخر: «**يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: بيننا وبينكم كتاب الله، ما وجدنا فيه استحللناه، وما لم نجد فيه تركناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله**».

وفي هذا تحذير من قول بعض الناس: نعمل بالقرآن ويكفينا، وقد وجدت طائفة تسمى: القرآنيون، يزعمون أنهم لا يعملون إلا بالقرآن، ولا يعملون بالسنة، فهؤلاء ينطبق عليهم هذا الحديث، وهؤلاء كذبة، فلو كانوا يعملون بالقرآن لعملوا بالسنة؛ لأن الله أمر في القرآن بالعمل بالسنة، قال تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر:٧] وقال: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**﴾ [المائدة:٩٢].

- وعن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه**».

قوله: «**لا ألفين**» يعني: لا أجدن، وهذا فيه التحذير من هذا؛ لأن بعض الناس يأتيه الحديث أو الأمر من بعض ما أمر به النبي ﷺ، أو النهي ينهى عنه، فيقول: لا أدري ما هذا، ما وجدنا في القرآن عملنا به، ويترك السنة. فمن جحد سنة الرسول ﷺ فقد كفر؛ لأنه مكذب لله. فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**». [متفق عليه].

- وعن عروة بن الزبير أن عبد الله بن الزبير حدثه أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه، فاختصما عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**»، فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟! فتلونَّ وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**يا زبير، اسق ثم**

احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر»، قال: فقال الزبير: والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥]. وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه، وفيه تحذير من الاعتراض على السنة.

وفي الحديث أن الزبير اختصم مع أنصاري في شراج الحرة، وهو مسيل الماء من المطر، فالوادي إذا جاء وسال فإن الناس من أهل المزارع يسقون منه الأعلى ثم الأسفل وهكذا، فالذي يمر به المسيل أولاً يشرب، ثم يرسله إلى من بعده، فاختصم الزبير والأنصاري، وكان الزبير هو الأعلى والأنصاري تحته، فقال الأنصاري: اجعل الماء يمر على بستاني، فاختصما إلى النبي ﷺ، فقال النبي للزبير: اسق يا زبير، ثم أعط الماء إلى جارك، ولم يبين له، فغضب الأنصاري وقال: أن كان ابن عمتك؟ لأن الزبير ابن عمة النبي ﷺ، يعني: أن كان ابن عمتك حكمت له، فتلوَّن وجه رسول الله ﷺ، فلما أغضبه الأنصاري حكم للزبير واستوفى حقه، فقال: اسق يا زبير واحبس الماء حتى يصل إلى الجدر، يعني: كما يسقي الرجل، ثم أوصل الماء إلى جارك، ففي الحكم الأول لم يستوفِ حق الزبير، وفيه مصلحة للأنصاري، حيث قال ﷺ: (اسقِ يا زبير ثم أعطِ الماء إلى جارك) فلما أغضبه الأنصاري، استوفى حقه، وقال: (اسقِ يا زبير واحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر)، أي: بمقدار ما يسقي الرجل، قال الزبير: (لا أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ [النساء:٦٥]. يعني: لا ينفعهم الإيمان حتى يحكموا الرسول فيما شجر بينهم، أي: في موارد النزاع، ﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]. وهذا الرجل يحتمل أنه منافق، ويحتمل أنه من شدة الغضب الذي استولى عليه قال هذه الكلمة السيئة للنبي ﷺ.

- وفي الحديث: أن النبي ﷺ وهو أشرف الخلق قد ابتلي ببعض الناس ممن يقولون بهذا الكلام، وابتلي أيضًا برجل قال له لما قسم بعض الغنائم إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله. والنبي ﷺ أعدل الناس، كما قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا تأمنوني وأنا أمين في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساءً**». وفي هذا الحديث تعظيم السنة والعناية بها.

- عن الزهري عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا إماء الله أن يصلينَ في المسجد» فقال ابن له: إنا لنمنعهنَّ، فغضب غضبًا شديدًا وقال: أحدثك عن رسول الله ﷺ، تقول: إنا لنمنعهنَّ!.

وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه، وهذا الابن قيل: إن اسمه بلال، فلما روى ابن عمر هذا الحديث: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله**»، وفي لفظ: «**أن يصلين في المسجد**»، وإماء الله يعني: النساء، وفي اللفظ الآخر: «**إذا استأذنت أحدكم امرأته إلى المسجد فلا يمنعها**»، فقال: ابن لـ ابن عمر يقال له بلال: واللهِ لأمنعهنَّ، لو تركناهنَّ لاتخذنَ ذلك ذريعة، فأقبل عليه عبد الله وسبه سبًا قبيحًا، يقول الراوي: ما رأيته سب مثله لأحد، وقال: أقول لك: قال رسول الله: «**لا تمنعونهنَّ**»، وتقول :والله لأمنعهنَّ!. وهذا فيه وجوب تعظيم السنة، وأنه لا يجوز للإنسان أن يعترض على

السنة، فعندما قال ابن عبد الله: والله لأمنعهنَّ، وإن كان قصده الخير؛ لكن لا ينبغي أن يعارض السنة. والمرأة لا تمنع من المسجد إذا طلبت ذلك إلا إذا أخلت بالشروط، كأن تخرج سافرة، أو متبرجة، أو يخشى عليها من الفتنة، ففي هذه الحالة تمنع؛ وإلا فإنها لا تمنع: «**لا تمنعوا إماء الله مساجد الله، وبيوتهن خير لهن**».

- عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن مغفل أنه كان جالساً إلى جنبه ابن أخ له فخذف فنهاه، وقال: «**إن رسول الله ﷺ نهى عنها، وقال: إنها لا تصيد صيداً، ولا تنكي عدواً، وإنها تكسر السن وتفقأ العين،**» قال: فعاد ابن أخيه يخذف، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهى عنها، ثم عدت تخذف، لا أكلمك أبدًا. ويخذف، يعني: يأخذ حصاة صغيرة بين أصابعه ويرمي بها، ومعناه: أن الخذف لا يفيد، فلا يصيد الصيد ولا يؤثر في العدو، ومضرته ظاهرة، فقد يصيب عين إنسان فيفقأها، أو سنه فيكسره. وهذا فيه تعظيم لحديث رسول الله ووجوب العمل بالسنة ■

رسالة إلى كل مخبر يتجسس على المسلمين وينقل أخبارهم

هذا هو رسول الله ﷺ يرفض طلبًا تقدم به منافق تائب يريد أن يعمل عنده مخبرًا يتجسس على بقية المنافقين ويأتيه بأخبارهم:

عن عبد الله بن عمر قال: كُنْتُ عندَ النَّبيِّ ﷺ إذ جاء حَرْملةُ بنُ زيدٍ فجلَس بين يدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ الإيمانُ هاهنا، وأشار إلى لسانِه. والنِّفاقُ هاهنا، وأشار إلى صدرِه. ولا يذكُرُ اللهَ إلا قليلًا، فسكَت عنه النَّبيُّ ﷺ فردَّد ذلك عليه حَرْمَلةُ، فأخَذ النَّبيُّ ﷺ بطرفِ لسانِ حَرْملةَ فقال: اللَّهمَّ اجعَلْ له لسانًا صادقًا وقلبًا شاكرًا وارزُقْه حُبِّي وحُبَّ مَن يُحِبُّني وصيِّر أمرَه إلى الخيرِ، فقال حَرْمَلةُ يا رسولَ اللهِ إنَّ لي إخوانًا منافقينَ كُنْتُ فيهم رأسًا، ألا أدُلُّك عليهم؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: مَن جاءنا كما جِئْتَنا استَغفَرْنا له كما استَغفَرْنا لك، ومَن أصرَّ على ذنبِه فاللهُ أولى به، **ولا نخرِقُ على أحدٍ سترًا.**

المحدث : الهيثمي | المصدر : مجمع الزوائد
خلاصة حكم المحدث : رجاله رجال الصحيح

أبو نزار الشامي

مأساة الغوطة: لهذه الأسباب ينتقم النظام والروس منها

تتعرض الغوطة الشرقية لقصف لم تتعرّض لمثله بتلك الحدّة منذ عام ٢٠١٥م، والذي أدى خلال أسبوع واحد إلى مقتل ٢٢٩ مدنيًا. وتنتشر فيديوهات تنقل مأساة الغوطة، وصور أجسادٍ ممزقة وأطفال تغمرهم الدماء، وآباء يبكون ويصرخون، ولا يتوقف النشطاء عن توثيق ما يجري في الغوطة يوميًا عبر الإنترنت، ذاكرين أعداد القتلى والجرحى، والبلدات التي استهدفتها غارات جيش الأسد وحليفه الروسي.

أما عن سبب الإصرار السوري والروسي على استهداف تلك المنطقة، فلأنها آخر منطقة لا تزال تحت سيطرة المعارضة على مقربة من العاصمة، كما أنها منطقة خصبة. وأهلها كانوا سبّاقين إلى التظاهر ضد بشار الأسد. والنظام اليوم ينتقم منهم.

أما عن الطيران الروسي فإنه يشارك في القصف الواسع، بعد أن كان محصورًا في السابق بطيران النظام السوري. والسبب يبدو أن روسيا تنتقم من جراء فشل المفاوضات في نهاية شهر يناير/كانون الثاني في سوتشي، نتيجة رفض المعارضة المشاركة فيها. ثم إن القصف الروسي جاء بعد إسقاط مقاتلي «هيئة تحرير الشام» طائرة حربية روسية.

ثم إن النظام السوري يحاصر الأنفاق التي تعتبر المنفذ الوحيد الذي يدخل عبره الغذاء والدواء من المناطق التي يسيطر عليها النظام، ويتعرض أهلها للقصف والجوع، وهم محاصَرون منذ ٢٠١٣م.

وأشار تقرير منظمة «يونيسف» في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، الذي أحصى ١١٠٠ طفل يعانون من سوء حادّ في التغذية، ٧٠٠ منهم في حالة الخطر التي تتطلب نقلهم خارج الغوطة على وجه السرعة. وأشار إلى نقص الأدوية والمواد الطبية اللازمة في المستشفيات، وإلى منع مرور القوافل الإنسانية، التي كان آخرها في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، التي حملت الطعام والدواء لنحو ٤٠ ألف شخص فقط.

وبالرغم من استخدام النظام السوري للأسلحة الكيميائية، منذ ١٣ يناير/ كانون الثاني الماضي، ثلاث غارات قصف فيها مادة الكلور في الغوطة وفي محافظة إدلب، فإن ردود الأفعال الدولية كانت قليلة، وغير مؤثرة، وطلب فيها بذل كل الجهود حتى «يضع النظام السوري حدًّا لتفاقم الأوضاع الإنسانية، التي أصبحت لا تطاق»، و«بوضع حد للقصف» وبمطالبة الأمم المتحدة بـ«وقف فوري للاشتباكات خلال شهر على الأقل، في كل أنحاء سورية».

الوعي: الأوضاع المأساوية في سوريا، تختصرها مأساة الغوطة، إجرام مشهود تشترك فيه دول المجتمع الدولي، وصمت مطبق عطلت فيه القوانين الدولية، وإسفار دولي عن محاربة الإسلام، تحت شعار محاربة الإرهاب... إنها الحرب العالمية على الإسلام، على إسلام الحكم، على الخلافة تحديداً... فافهموها يا أهل الإسلام، وواجهوهم بما يخافون منه. إنه لن يضع حداً لمآسي أهلنا في الغوطة، وفي سوريا، وفي بلاد المسلمين التي تحترق يومياً، **إلا دولة الخلافة** الراشدة. فالحل بيدكم أيها المسلمون، وإياكم أن تجعلوه في يد أعدائكم، في جنيف، أو في سوتشي، أو في فيينا، أو في الرياض... فكلهم في التآمر عليكم سواء ■

"ابن زايد" على خطى (أتاتورك)

نشرت صحيفة الخليج الجديد مقالاً تحدثت فيه عن ولي عهد أبوظبي «محمد بن زايد»، وأنه على خطى مصطفى كمال، يسير في طريق العلمانية ومحاربة كل ما هو إسلامي، ففي الوقت الذي حارب فيه (أتاتورك) الإسلاميين حتى غير المهتمين بالسياسة منهم كالنورسيين أنصار «سعيد النورسي» ومنع الآذان وأغلق المدارس الدينية، أشهر «بن زايد» سيفه ضد الجماعات الإسلامية بشكل خاص، وعلى رأسهم «الإخوان المسلمون»، منفقًا الكثير في سبيل انقلابات على الإسلاميين، متفوقًا على (أتاتورك) بتصنيفه كل حركات الإسلام السياسي وداعميها كـ«منظمات إرهابية».

وذكرت الصحيفة أن الإمارات، في عهد محمد بن زايد، بدأت في تنفيذ خطتها بدعم الأطراف العلمانية لاستئصال الإسلاميين في دول عدة، وبدا ذلك واضحًا بشكل جلي عقب ثورات الربيع العربي، وخشية الدولة الخليجية من انتقال هذه الثورات إليها، خاصة وهي تنظر للإسلاميين الذين علا نجمهم في هذا الوقت على أنهم تنظيم دولي يريد بسط نفوذه على العالم أجمع.

ففي مصر دعمت انقلابًا عسكريًا على حساب الرئيس «محمد مرسي» المنتخب. وفي تونس دعمت المرشح العلماني الرئيس الحالي «الباجي قايد السبسي». وفي اليمن، ما إن برز حزب «الإصلاح» بعد الثورة، حتى وقفت في وجهه، ووجهت عملها باتجاه العمل على عودة المخلوع «صالح» الموالي لها. وفي أعقاب الثورة الليبية، دعمت أبوظبي «خليفة حفتر» ضد الإسلاميين، وانتهكت حظر الأسلحة المفروض على ليبيا بتقديم مروحيات قتالية وطائرات حربية لقواته. وفي سوريا، لا تعلن الإمارات دعمها للنظام صراحة، ولكن رصدت محاولات لإعادة العلاقات معه. وفي العراق، تدعم أبوظبي مشروع انفصال إقليم كردستان، نكاية بتركيا تحت غطاء زعزعة استقرار إيران. ولم تكتف الإمارات بذلك فحسب، بل سعت أيضًا إلى تصنيف العلماء والحركات الإسلامية البارزة كَمنظمات إرهابية .وعملت على دعم إعلامي قوي ضد الإسلاميين، سواء من خلال الدراما، أم المراكز البحثية، أم حتى القنوات والمؤسسات الدينية.

ولعل ذلك ما دفع النائب الكويتي «مبارك الدويلة» للتساؤل عن سبب كره «بن زايد» للإسلام، ومحاربته بشدة في السنوات الأخيرة. وكذلك أعرب الأمير السعودي «عبدالعزيز بن فهد» عن استغرابه من محاربة «بن زايد» للإسلام داعيًا إياه للتوبة إلى الله والعودة للصواب. وهذا ما دفع مغردين إلى وسم بن زايد بأنه حفيد أتاتورك، وأن الصفة المشتركة بينهما هي «محاربة الدين وأهله»، وهو ما أيده فيه عبدالرحمن الشمري، لافتًا إلى قرار صدر مؤخرًا بـ«حظر جزئي للنقاب في إمارة أبوظبي في وزارة الصحة». وأكد حساب آخر أن الإمارات منذ وفاة الشيخ زايد بدأت بالحرب على الاسلام بتعيينها المستشار دحلان السيئ الذكر مستشارًا لابن زايد ■